

مسر حیات شکسبیر

جامعة الدول العربية

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

ضجة فارغة

ترجمة

عباس حافظ

مراجعة

شفيق غريال

محمد بدران

الطبعة الثانية



دار المعارف

كلمة الناقل

أسلوب شكسبير في قصصه الماجنة

لم يكن شكسبير حين كلفت نقل قصة منه غريباً عني، فقد قرأته على عهد الشباب، كما يقرأ الشاب الكتاب خطأً، ويستعجل خاتمته شوقاً ولهفاً. وعدت أقرؤه في المشيب، بتدقيق وترو، وأمضى في قراءته، على مُكث، لأن نظرة الشيخ عن لمحة الشباب، مختلفة. فلا عجب إذا وقعت اليوم فيه على معان لم أقع من قبل عليها. ورأيته يتجدد في خاطري، أبلغ مما بدا، والنظرة عجلي، والحماسة له مسرعة، والإعجاب به لا ينتظر كل العلم، ولا يقف حتى تتم المعرفة.

وكنت قد أدركت في الشباب أن قصصه المحزنة ملأى بمواقف للحكمة، ومواطن للفلسفة، ومشاهد لقوة الكلمة، وسلطان البيان. وأن الماجنة منها مفعمة مزاحاً، مترعة طرائف وألعيب وأمرأحاً. فهي دون الأولى براعة وأقل منها حدفاً. فلما تناولت أحداًها لنقلها، وجدت القوة في النوعين مؤتلفة، وتبين لي أن نقل مأساة أيسر لمن أوتى روعة العبارة، وسعة اللفظ وقوة التصوير. لما في القصة الماجنة من ضروب هزل تختلف كثيراً عن مثلها في العربية، وأساليب دعابة، وألوان بديع تأبى على الناقل.

رأيت هذه القصة مليئة جناساً، من كل نوع، حتى في اختلاف النطق، وتباين التهجية، وأصعب شيء أن تنقل جناساً في الإنجليزية، إلى مثله في العربية، وتحفظ بالتماثل المراد فيهما، والتشابه اللفظي بينهما، فلا معدى لك من محاولة التقريب، أو إن شق عليك، من شرح العبارة للقارئين.

ورأيتها كذلك قد ازحمت بفنون من "التورية"، وهي لا تكاد تنقل إلى العربية لاستحالة التماثل فيها بين اللغتين. كما كثر فيها التلميح لأمثال قديمة أو أساطير غابرة، أو عبارات مقتبسة من كتب، أو أبطال خرافيين.

وقد عانيت كثيراً في ذلك كله، وعانيت بالهوامش والشروح قدر عنايتي بالمتون، ولم يسعني الشراح في بعض الأحيان، لأن عبارات بأعيانها أعجزتهم، أو استغلق المعنى الحقيقي فيها عليهم. فاجتهدت في حل ألغازها مع المجتهدين.

وتكاد هذه القصة تدنو من "المأساة" أو القصة المحزنة لأنها قائمة على "اتهام" بريئة، وفضيحة عروس وهي أمام المحراب توشك على زفاف. ليس عجيباً أن يختلط فيها العنصر الجدى بالعناصر الفكهة، لأن ذلك هو ما فعله المؤلف في أكثر من قصة هازلة، ونحن أبداً من شكسبير في عجب عاجب، فهو لا يضع رواياته مصنفة التصنيف الذي عرفناه، بين مسلاة،

وملهاة، ودراما، أو ميلودراما، عند المؤلفين الذين سبقوه، كميناندر وبلوتاس أو الذين جاءوا من بعده مثل كالديرون أو موليير. أو كونجريف أو شريدان، بل نحسب كل ملهاة أدنى ما تكون إلى الحزن أو ألم القلب، أو أحياناً إلى القلب الكسير، فهو كذلك فى قصته "كوميديا الأخطاء"، وهو أيضاً على هذا النحو فى "جهد حب ضائع" و"الليلة الثانية عشرة".

ولكننا فى كل هذه الروايات الفكهة لا يخامرنا، لحظة، الشك فى أن النهاية ستأتى سعيدة، والخواتيم ستعود موفقة حسنة، وهذا هو ما نلمسه من بداية قصتنا هذه. فليس ثمة مخادعة تضلنا، ولا خطأ يواجها، ولا مباعثة تبدهنا قبل أن نستعد لها، ولا أزمة نجعل سرها كما يجهلها أبطالها. بل كل أكلوبة تقال نعرفها قبل سماعها. ولا نشك فى أنها ستكشف وتبدو مع السياق حقيقتها. ففى قصة الكيد الذى كيد لهيرو تبدو الحوادث فى ظواهرها محزنة، ويراهنا أشخاص القصة أنفسهم كذلك، تستمد منها "المسلاة" مادتها. لأن المأساة هنا تأتى إلينا بعد استعداد تمهيدى لها، فلا يصاحبها انفجار فجائى، ولا يقتضى الموقف خاتمة مخففة من وقعه، كما يحدث فى أحد فصول "تاجر البندقية".

ويصح لنا هنا أن نصف قصتنا هذه بقولنا إنها قصة تدور حول "مخادعة النفس"، لأن شخصيتين فيها، وهما بياتريس وبنيديك يظلان محاولين معرفة قلبيهما، وكشف خبيئة عاطفتيهما. وفى هذا النوع من المسرحيات لا غنى للمؤلف عن البدار إلى تعريف النظارة بالأمر ليكونوا طيلة الوقت أعرف به من أشخاصها. وقد عرفنا من مطالعها فعلاً أن بياتريس تحاول جاهدة إخفاء عاطفة صادقة، فلا نلبث أن نحس أن هذه الساخرة العابثة لن تمضى فى عبثها إلى النهاية، بل ستقلب إلى الجد، وترفع الستر عن خدر حبهما الدفين.

وإذا نحن تذكرنا هذا كله، استطعنا أن نفهم نقد الشاعر كوليريدج لشكسبير من ناحية عنصر "الحادثة" فى رواياته، فهو القائل: "إن كل اهتمامنا بالحادثة عند شكسبير منصب على الأشخاص، لا عليها بالذات، كما هو الحال فى روايات الكتاب الآخرين جميعاً، فليست الحادثة عنده إلا قطعة من قماش يرسم عليها أشخاصه، ومن هنا ينهض الشفيح له فى رسم شخصيتى بياتريس وبنيديك من نسق واحد وإبرازهما متماثلتين فى نزعة الغرور والكبرياء، وإذا أنت نزعنا من هذه القصة كل ما هو تزييد ظاهر، وحشو لا ضرورة له، أو ليس ثمة حاجة بالغة إليه، أو على أحسن الفروض، شخصيات الشرطى وزملائه الذين أدخلوا عليها افتعالا وكان أقل منهم غياب كأشراط وحراس وافين بالعرض، فماذا يبقى بعد ذلك فيها.

لقد شهدنا فى روايات الكتاب الآخرين أن المحرك الأكبر فى "الحادثة" أو "العقدة" هو دائماً البطل أو الشخصية البارزة، أما عند شكسبير فليس الأمر أبداً كذلك. وقد يكون أحياناً كذلك. أى أن الشخصية ذاتها هى التى تتألف الحادثة منها، أو قد لا تتألف. فقد جعل شكسبير

"دون جون" فى هذه القصة الأصل فى الحادثة، ولكنه جاء به عارض، ثم سحبه فلم يعد يسوقه إلينا وإن بدا العنصر "الشريـر" فيها. وتركه شكسبير بغير مبرر للشـر الذى يـنزع إليه، أكثر من وصفة بأنه أخ غير شرعى للأمير، وشخص سوداوى حاقـد مريض العاطفة. وعجيب من الشاعر الذى خلق لنا بعد ذلك شخصية "ياجو" فى رواية "عطيل" أن يدع "دون جون" بغير دافع ظاهر، أو شفاعـة واضحة.

والظاهر أن النقاد لم يفهموا شخصية "بياتريس" على حقيقتها. لقد وصفها الشاعر "كاميل" بأنها "مستهجنة"، وأن المرأة الطبيعية لا يمكن أن تكون كذلك. ومن قبله كاتبة تدعى "مسز أنشبالد" تقول: "لو كان عند بنيدىك وبياتريس أدب، أو ذوق، أو رفعة خلقة، وابيا أن يسترقا السمـع على غيرهما، لجمدت القصة فى مكانها، أو لاقتضت طريقة أخرى للسـير بها فى مجرى صالح".

ولم نكن نرتقب من "جول ليمتر" النقادـة الفرنسى الكبير أن يسير فى هذا الطريق ذاته، يقول عن بنيدىك وبياتريس إنهما "لا يطاقان" بل همجيان يرمىـان إلى الترائى بالمجون والذكاء، و"حيوانان ماكران"..

ولكن الرد على هؤلاء النقد يسير؛ وهو أن شكسبير فى مطارحات الحب يجرى على طريقة واحدة، فى مختلف مسرحياته، وهى طريقة "الفـ والدوران" أو الاستخفاء، فقد اتخذها فى "جهد حب ضائع" وفى "عطيل"، بل أيضاً فى "روميو وجوليت" حين جعل الشرفـة فاصلا بينهما، ولا يمكن أن يفوتنا من بداية قصتنا أن بياتريس امرأة. وأنها ينبغى أن يظفر بها، بل لا نتصور لحظة واحدة أنها قد قدر عليها أن تجلس فى ناحية باكيةً والهةً مناديةً "ألا من زوج.. ألا من زوج"! فإن كل نكاتها الساخرة تدور حول هذا الأمر بالذات، كما لا يفوتنا من البداية أن "بنيدىك" هو الرجل الذى تريده وأنه الفتى الذى قدر لها أن تحبه.

وليست مجانتهما فى الواقع إلا مجانة شكسبير نفسه، ولو جردا أنفسنا من "الوثنية"، أو عبادة العبقرية، عند التحدث فى أبلغ مراتب الإعجاب عن شكسبير لأقررنا أن مجونه، كما يبدو على ألسنة شخصياته المضحكة، ومهاذير قصصه، كان المادة التى تتألف منها الأساليب الشائعة فى بلاط الملوك على عهده، ومجالس الأشراف والعلية فى زمانه. ولنتصور فتى من الريف تلوح عليه مخايل الذكاء، أو بوادـر العبقرية، جاء إلى لندن ليـجرب فيها حظـه، فإذا هو يجد لهجة الكلام بين السادات، وأهل البلاط، وعلى المسرح الملكى ذاته، ملأى بفنون "التورية" و"الجناس" والكلام المنمق، فلا غرو وهو الفتى المتلهف على الظفر بمكانة مرموقة إذا هو التقط هذا النوع من الكلام، وراح يحذقه ويبرع فى فنونه، وبملا مسرحياته الفكهة بأعجب ألوانه.

ولسنا ننكر أن فى مطالع هذه القصة التى نقلها شيئاً من التنكيت "الرخيص". ولكن إذا نحن نفيناه منها، أو "غرلناه"، وراعينا أن بياتريس وبنيدىك لم يكن بينهما غير "مراشقات" بالنكت، ووقفنا عند مشهدهما وهما يكشفان عن قلوبهما الصادقين عقب انصراف الجمع من الكنيسة، أدركنا مدى التأثير الذى يتجلى من خلال ذلك التظاهر بالسخرية، واصطناع الاستهزاء المتبادل بينهما.

ويروى أن جماعة من الأطفال والولدان شاهدوا هذه الرواية تمثل على المسرح وكان أحد الممثلين القديرين يؤدى دور "بنيدىك"، فلما انتهى التمثيل وصحب الأطفال إلى المحطة أحد مدرسيهم، وقفت صبية فوق الإفريز ورفعت صوتها، كأنها من فرط السرور فى غيبوبة، قائلة: "لا يتصور أحد رجلاً بديعاً على هذه الصورة..". وهى شهادة توحى بأن أحسن ما فى شكسبير لا يزال شيئاً يستطيع الطفل أن يقرأه، أو كما قال الأديب "تشارلس لام": "درسا مليئاً بكل خيال بديع، ورأى جميل، وفعل نبيل..".

ولا نستطيع أن ننسى أن لهذه القصة بالذات مزية انفردت بها عن سائر المسرحيات الأخرى التى كتبها الشاعر، وهى أنها من أولها إلى آخرها إيطالية، وأدنى ما تكون من روح النهضة أو البعث الأدبى الذى ظهر فى الغرب بعد القرون الوسطى، حتى لتجد كل أشخاصها يتكلمون من "الكتب"، وهم جميعاً قراء حتى النساء منهم، أو على الأقل "بياتريس" فهى قد قرأت "المائة نادرة"، وبنيدىك فهو يتحدث عن "لياندر"، و"ترويلاس" وينظم شعراً. وكلوديو شاعر كذلك، فهو يعد مراثية ليعلقها على قبر الفتاة المسكينة التى قتلها بقسوة تهمته.

ولم يكن مفر لشكسبير، وقد أبرز روح تلك النهضة من جانبها الماجن، من اقتباس الغدر الإيطالى، فجاءنا بشخصية "دون جون" والمكيدة التى دبرها للفتاة، ولقد ألف شكسبير تكرار نفسه فى رواياته، فهو يردد أشياء فى هذه، كان قد جاء بمثلها فى تلك، مع تنويع جميل، ينفى الملالة، ويحفظ الجودة. فلا يمكن أن يقال إن هذا التكرار منه دليل نقص فى الخيال، أو عود إلى الابتكار، ولكنه فى الواقع مظهر ثروة، أو مراجعة حساب، وهو لا يأنف أن يستعير حادثة من أى مكان أو أى إنسان، كأنما يقول "أعطونى" قصة إيطالية، أو صفحة من أفلوطرخس، أو نادرة من أساطير الهند، وأنا أصطنع لكم منها "مكبث"، أو "هملت"، أو "روميو وجولييت".

وهكذا نرى هذه القصة ملىء بالأصدية، ونشهد أصديتها مترددة فى آفاق غيرها من قصصه، فليست شخصيتنا بياتريس وبنيدىك سوى صورة أخرى من "بيرون وروزاليند"، كأنما قد مضى الشاعر يفترض من كيس نقوده، ويأخذ من حر ماله، ويهب منه أبطاله، ويعتز فيه بخياله، ويتقدم إلى الخلود مؤمناً بأنه الجدير به، الظافر من البشر بإعجاب باق على الزمان..

عباس حافظ

حياة شكسبير

كتب خلقٌ كثيرٌ عن حياة شكسبير، واختلف الرواية فيها أيما اختلاف، ولست أريد أن أعرض لهذا كله، أو أنقصاه من جميع جهاته، ولكنى سأجتزئ هنا بالوقائع الثابتة. والأحداث المحققة، فلا أتحدث عن آباءه الأولين، فإن هذا الاسم "شكسبير" كان شائعاً في القرون الوسطى مدوناً في عدة أقاليم من الجزيرة البريطانية وكان قومه من الفلاحين، فهو فلاح من سلالة زراع وحرث يعملون في الأرض، والظاهر أن أباه "جون شكسبير" كان أخواً نعماء. وصاحب شأن، في استراتفورد، وتزوج "بمارى أردن" وهى فتاة ورثت عن أبويها أرضاً ودورا ولكنها لم تتلق شيئاً من العلم وقد شوهدت بصمتها فى عدة وثائق. ولم يثبت أنها كانت توقع باسمها. وكان "وليم" ثالث ابن رزقاه، وأكبر الأحياء من أولادهما، بعد وفاة أخويه الأولين، وكان مولده فى شهر أبريل عام ١٥٦٤ بقرية "استراتفورد" القائمة على ضفاف نهر إيفون.

وكان أبوه يومئذ فى أحسن حال. وأرغد عيش، ولم تكذ تنقضى على مولد "وليم" ثلاثة أشهر أو نحوها. حتى نفشى الطاعون فى القرية، وأخذ يحصد أهل الفاقة من بينها حصداً، فأقبل أبوه على إنقاذ الناس من هذا الشر المستطير كريماً سمحاً غير ضنين ولكنه بعد بضع سنين غرق فى الديون، وأحاطت به المتاعب، فاضطر إلى رهن عقار زوجته وانصرف عن الانشغال بالشئون البلدية والقروية فى إقليمه.

طفولته وشبابه

وما لبث أن واجهته نفقات تعليم أولاده "وهم خمسة" ثلاثة صبيان. وابنتان أصغر سناً من وليم، وكان الصبية يستحقون التعليم فى المدرسة الأولية بغير نفقة فادخلوا فيها، وبدعوا يتلقون مبادئ فى اللاتينية، والنحو والصرف والأدب وتواتى لوليم فيما بعد شيء من علم الفرنسية، فانتفع به فى روايته التاريخية "هنرى الخامس"، ولكنه لم يقض وقتاً طويلاً فى المدرسة، لتدهور أحوال أبيه، وحين بلغ الثالثة عشرة، بدأ يشتغل "قصاباً" وهى الحرفة التى أصبح أبوه يعتمد عليها فى كسب قوته.

زواجه

وكانت تقوم على مقربة من استراتفورد دار ريفية معروشة السقوف، لا تزال تعرف باسم "كون آن هاتاواى"، وكان يقيم فيها آلا هاتاواى، إلى عام ١٨٣٨ وكان ريتشارد هاتاواى والد "آن" غنياً، فلما قضى نحبه، ترك ضيعة ورثها عن آباءه الأولين، فتولت رعايتها من بعده أرملة.

وأكبر بنيه، وكان نصيب كل بنت من بناته لا يتجاوز ستة جنيهات وثلاثة عشر شلنا وأربعة بنسات، وهو ما يساوي مائة وستين جنيهاً في أيامنا هذه.

وقد تزوج شكسبير بالفتاة "آن" حين تجاوز الثامنة عشرة وكانت أكبر منه بعدة سنين، إذ كانت يومئذ تبلغ السادسة والعشرين.

ولا يحدثنا التاريخ كيف كان قرانهما، على هذا الفارق من العمر، ولا كيف كان عيشهما، ولكن الثابت أن حياتهما لم تكن هنية رغيدة وقد رُزقا بنتين وولداً.

حياته الأولى

ولئن رأينا يقول عن آن.. إن لأن هاتاواى وما أدراك من آن هاتاواى ، سبيلاً لفتنة القلوب، وسحراً يجتذب الأفئدة... فقد عجزت عن كبح جماحه، أو قص جناحه، أو رده عن هواه، فقد مضى يلهو بين أهل قريته، ولم تقنعه صنوف اللهو المألوفة فى محيطه، فانطلق يختلط بقرناء السوء، وشرار الصحب، ويغير على أماكن الصيد التى يملكها أهل اليسار والسلطان، فيسرق الغزلان، ويصطاد الأرناب، حتى اضطر فى النهاية إلى مغادرة القرية، وهجرة الأهل والنزوح عن البيئة التى نشأ فيها عدة سنين.

وقد اعتدى على حدائق السير توماس لوسى فى شارلكوت أكثر من مرة فى تلك الأيام، وكانت تلك الأيام، وكانت العقوبة يومئذ لا تقل عن الحبس لثلاثة أشهر، ودفع غرامة تقدر بثلاثة أمثال قيمة التلف الذى أحدثه فلم يلبث أن اشتد حقه على ذلك الوجيه فراح يثار منه بأبيات من الشعر علقها على أبواب حدائقه، وهى فعلة أثارت عليه غضب ذلك الكبير. وطالب بمزيد من العقاب، فلم يسع شكسبير سوى الفرار من لندن فى عام ١٥٨٥ للبحث عن عمل يسد منه أرماقه.

حياته فى لندن

وتختلف الروايات بسبيل محاولاته الأولى عند قدومه إلى لندن، ولكن الثابت أنه لم يلبث بعدئذ أن اتجه إلى مهنة الممثل، ويقال إنه بدأ يؤلف روايات تمثيلية، أو يقتبس أخرى من الكتاب، ويعيد صياغتها، ويحور فى ألفاظها وعباراتها، ثم يعرضها على الفرق التمثيلية، فتشترىها، وتنتقل ملكيتها من يده، وكان من عادة مديرى هذه الفرق إحالة الروايات على المراجعين قبل عرضها على المسرح، وهذا ما حدث لروايته الأولى "جهد حب ضائع" التى يغلب على الظن أنه وضعها فى عام ١٥٩١، فقد روجعت عام ١٥٩٧ ونشرت فى العام التالى باسمه. وكانت هذه أول مرة يبدو فيها اسمه منشوراً على صدر كتاب من قلمه وتأليفه. والظاهر أن

حوادثها لم تقتبس كأكثر مسرحياته من قصة قديمة أو كتاب سابق. كما يبدو في روايته "روميو وجولييت" (١٥٩١ - ١٥٩٣) وهي مأساته الأولى، فقد توالى اقتباسها قصتها عدة مرات منذ وضعت في القرن الثاني قصة "أنتيا وابروكوماس" في اللغة الإغريقية، وكانت معروفة في طول أوروبا وعرضها، وتكرر ظهورها نثرًا وشعرًا عدة أجيال.

أما قصة تاجر البندقية (١٥٩٤) فقد رجع فيها إلى عدة مصادر. من بينها مجموعة قصص إيطالية كتبت في القرن الرابع عشر ومن المرجح أن تكون أكثر مسرحياته قد استغرقت زهاء عشرين عامًا من عمره، أو بين السابعة والعشرين والسابعة والأربعين أي بمعدل روايتين في العام.

أهل السلطان الذين رعوه

وكان له بين الأشراف راع يدعى "الأرل أوف سلوتامينون" وقد وجه إليه كثيرًا من أغانيه، وإن لم يذكر اسمه صريحًا، كما أبدت الملكة "إليزابيث" نحوه شيئًا من العطف في عام ١٥٩٤ وطلب عقب تتويج الملك جيمس الأول للتمثيل في حضرته، وكان تمثيل رواية "العاصفة" ولعلها آخر ثمار عبقريته بمناسبة قران الأميرة إليزابيث بالأمير فردريك عام ١٦١٣.

عودته إلى استراتفورد

وما كاد يتصف به العمر حتى بدأ يهدأ ويتدبر مطالب الحياة، ويسعى جاهدًا في معاودة العيش في العشرية، والإخلاق إلى الحياة المنظمة، فعاد إلى استراتفورد، بعد هجرتها أحد عشر عامًا، وإن ظل يزورها مرة على الأقل في كل عام، فاشترى في عام ١٥٩٧ أكبر بيت في القرية لقاء ستين جنيها. وكان للبيت مخزان للغلال وحديقتان، فعكف على إصلاحه، وعنى بالحديقتين، ولعل هذا القدر اليسير من المال الذي اشتراه به يساوي اليوم ١٥٤٠ جنيها. وقد سمى يومئذ "المكان الجديد" وجعل الناس يدعونه قرية "الغنى الوجيه". وزاد في نفوذه أنه استعان بأبيه على الظفر بشعار النبالة، وأصبح معدل إيراد السنوي من التمثيل والتألف المسرحي كبيرًا، وعندما تم تشييد مسرح "جلوب" في عام ١٥٩٩ بدأ يتلقى حصة من أرباحه، فارتفع إيراده إلى مائة وثلاثين جنيها أو ما يساوي اليوم نحو ثلاثة آلاف، ثم نما على الأعوام أيضًا، فأصبح رب ضيعة كبيرة وكان مولعًا بالقضايا كثير الدخول في المنازعات أمام المحاكم. وكثيرًا ما يخرج منها كاسبًا موفقًا.

فى أخريات أيامه

وقد أخرج أحسن رواياته فى تلك الفترة السعيدة من حياته وهى جميعاً قصص مرحلة خفيفة الظل، ثم تلتها بعد عام ١٦٠٠ ثلاث أخرى يغلب الجد عليها وهى يوليوس قيصر، وهملت، وعطيل.

وفى عام ١٦٠٦ أتم "مكبث" ثم "الملك لير" التى مثلت فى بلاد "هوايتهول" خلال شهر ديسمبر عام ١٦٠٦.

والظاهر أنه انصرف عن التأليف للمسرح بعد عام ١٦١١. ولبت مقيماً فى استراتفورد أكثر أيامه.

وبدأت صحته تعتل فى بداية عام ١٦١٦. ولكن لا يعرف أحد أسباب وفاته وكان ابنه الأوحد "هانمت" قد قضى نحبه قبل ذلك بعدة سنين، وقد ترك من بعده زوجه وابنتيه "سوسنة هول" و"جوديث كوينى". وكانت منتيه فى الثانية والخمسين. ودفن فى كنيسة استراتفورد وكتب على قبره أبيات من شعره البديع.

مقدمة المسرحية

مصادر القصة

من أين استقى الشاعر موضوعه

تحوى هذه المسرحية المرححة حادثين، أولهما يتصل بثلاثة أبطال، وهم "هيرو، وكلوديو، ودون جون"، ويكاد هذا العنصر يبدو جادا فى جملته، لا فكاهاة فيه، والآخر مرح كله، ويتصل بشخصيتين بديعتين، وهما "بياتريس" و"بنديك". وإلى جانب هذين القسمين، عنصر إضافى ثالث تسر الفكاهاة فى جميع نواحيه، وهو يدور حول شرطى عجيب يدعى "دوجيرى" وصاحب له يسمى "فارجس" والحراس الذين يعملون بإمرتهما، ويكشفون المكيدة التى كادها الحقد لاتهام "هيرو" العذراء بالخيانة والإثم. ولو حذفنا هذا العنصر الفكه من القصة، لفقدت خير ما فيها من متعة. وجردت من أبدع ما احتوته من فكاهاة.

وقد استقى شكسبير موضوع المسرحية من مصدرين هما:

١. قصة سان تمبريو دى كاردونا التى حوتها مجموعة قصص كتبت فى اثنين وعشرين جزءاً، وطبعت باللغة الإيطالية عام ١٥٥٤ لمؤلفها "ماتيو بانديلو" أسقف آجن.

وكانت قد ترجمت إلى الفرنسية في عام ١٥٨٢ واشتهرت في عهد شكسبير وأكبر الظن أنه عرفها، أو ظفر بنسخة منها في الإنجليزية، فقد نقلت إليها في أيامه أو قبيل ظهوره.

وليس من شك في أن موضوع هذه القصة التي نقلها للعالم العربى مأخوذ من قصة "سان تمبريو" لتشابه الحوادث فيهما، وإن كانت القصة القديمة قد جرت أحداثها في "ميلانو". وهذه في مسينا، كما تماثل اسم البطلة في القصتين وهو ليوناتو وورد في الرواية الإيطالية كذلك اسم "دون بدرو" ملك أرغونة. ويبدو أن شكسبير حذف شخصيته في القصة القديمة، وهى زوجة ليوناتو، وأم هيريو أو أنه أوردها في بدالة الفصلين الأول والثانى ولكن إدارة المسرح أغفلتها ورأت الأ ضرورة لها.

والواقع أن عشر بطلات في روايات شكسبير جئن فيها بغير أمهات، ونعنى منهن "بياتريس" و"هيريو" في قصتنا هذه، وكورديليا وديمونة وأينوجن وإيزابيلا وميراندا وأوفيليا وبورشيا وروزالندا.

وفيما يلى الحوادث التى استقاها شكسبير من بانديلو:

- ١ . طريقة الوساطة فى خطبة كلوديو لهيرو .
- ٢ . فسح الخطبة فى اللحظة الأخيرة والعروسان أمام الهيكل .
- ٣ . مخادعة برواشية لكلوديو وتضليله .
- ٤ . إغماء هيريو وادعاء وفاتها .
- ٥ . زواجها من جديد .
- ٢ . قصة "اريودانت وجنيفرة" التى نقلها إلى الإنجليزية السير هارنجتون فى عام ١٥٩١ من الجزء الخامس من قصص "أريوسطو" وهو الجزء الخاص برواية "أولاندو فيرويوزو"، وكانت قد ظهرت لها ترجمة قديمة فى عام ١٥٦٥ . ولكن لا نحسب شكسبير اطلع عليها أو استمد منها موضوعه .

ولم يكن اقتباسه منها كثيراً . فقد أخذ حكاية اختبار كلوديو فى الحديقة ليطلع بعينه على خيانة حبيبته، كما استمد تمثيل مرجريت لدور "هيريو" إفكا وبهتاناً .

أما المكيدة وشخصيتا بياتريس وبنيديك، ومحاوراتهما البديعة ومواقفهما الممتعة، وأدوار "دوجيرى"، وصاحبه والحراس والمشاهد الفكهة التى حوتها القصة فهى جميعاً من مبتكر الشاعر العبقرى ووحى خاطره الخصيب ..

أبطال القصة

يحسن قبل أن يبدأ المرء قراءة القصة أن يعرف شيئاً عن شخصيات أبطالها، والصلة بينهم، ومعالم أخلاقهم ومنازعتهم حتى تتفتح لها فصولها. ويسهل عليه متابعة مشاهدتها، وما نحسب أحداً يجد روحاً إلى حديث إنسان، أو سكوناً إلى مجلسه، إذ لم يؤت علم شيء عن ماضيه، أو حاضره، أو مكانه من الناس.

ونحن هنا محاولون أن نرسم معالم الأشخاص، في غير استطراد، تاركين القصة ذاتها تتكشف لهم عند التنقل بين مشاهدها المتتابعة.

مدار الأحداث

تدور القصة حول واقعتين غراميتين، يصح أن تعد كل واحدة منهما منفصلة من الأخرى، وإن اختلطتا، وترابطتا، لأنهما مختلفتان اختلافاً بعيد المدى، حتى لتستمد كل واقعة من تناقضها والأخرى قوة وتزداد توكيداً، وليس من شك في أن أهمهما شأنًا، لجد موضوعها وخطر أمرها، هي حب كلوديو وهيرو، فهي تبدأ "غرامًا" ثم تكاد تنقل إلى مأساة، قبيل أدوارها الختامية، وأما الأخرى، وهي غزل يبدأ سخرية، ثم يتطور حتى ليتراءى أشبه بكرامية ويتخلله مجون، ومطارحة بعبث، واستهزاء، ثم ينتهي هو أيضًا بحب وإعلان، بعد مداراة وكتمان، ثم إلى زفاف وقران.

ولا ريب في أن كلوديو، هو البطل الأوحده، فلا معدى من إحلاله في الطبيعة، عند رسم شخصيات الأبطال.

كلوديو

هو فتى من فلورنسا أصاب حظوة بالغة عند دون بدرو أمير أراجون، فهما لا يكادان يفترقان. حتى لقد أحفظت هذه الحظوة أبا للأمير يدعى "دون جون" وجعلته يعتقد أن هذا الفتى قد قام على أنقاضه. وأكبر الظن أن هذا التوفيق الذى أصابه كلوديو أثار فى نفسه شيئاً من الاعتداد بنفسه، حتى بدا شديد المخافة على كرامته، يخشى أن يتأذى كبريائه من أقل بادر، فلم يكذب يوحى دون جون بأن هذا قد غدر به وراح يطلب الفتاة لنفسه، حتى اصطنع الاستخفاف بالأمر، ليخفى الجرح الذى أدمى كبريائه، قبل أن يمس حبه، وحين عاد هذا الذى ينفس عليه مكانه عند أخيه يحدثه عن خيانة "هيرو" ثار لكرامته، ولم يتريب حتى يتأكد الحق. ولكننا لم نلبث

أن رأيناه حين حصص الحق، يعترف بخطئه. ويرتضى أى عقاب يفرض عليه تكفيراً واستغفاراً من فعلته.

ويبدو من سياق القصة فى فصله الأول أن حبه للفتاة لم يأت فجأة ولكنه نما فى نفسه رويدا. وإن لم ينبعث فى حماسة إلى إظهاره لها. كما لم يبد كسير الفؤاد حين مضى يستمع للوشاية بها ويصدق قول الواشى، وكان المرتقب أن يثور عليها ويطالبه بإثبات قوله. ولكنه غضب على الفتاة وأقسم أن ينتقم منها. بل لم يبد شيئا من الأسى حين تم له ما أراد من الثأر. فقد اكتفى به، وطلب إلى بنيديك أن يطرد بالمجون الهم عن نفسه.

ولكن ذلك كله على غرابته، لا ينفى أنه أحب الفتاة حبا بالغاً لم يحل دون إظهاره غير اعتداده الشديد بنفسه.

هيرو

رسم شكسبير شخصيتها على النقيض من ابنة عمها، فهي تبدو حيية منطوية على نفسها. على حين تلوح الأخرى برزة مستقلة فصيحة ماجنة كأن كلا منهما تبرز بهذا التناقض شخصية صاحبتهما. ولكننا نحسن دائما وجودها، وإن أقلت من الكلام، ونستشعر وقارها وحشمتها، ولا يقع كلامها على قلته قليل الخطر، بل يكسب الإعجاب به على إيجازه، وهى لا تخلو من ذكاء ومجانة، كما بدأ فى تنفيذها حيلة اتفق عليها لحمل ابنة عمها على الرضى عن صاحبها الذى سلطت عليه النكات اللاذعة وبادلته السخرية المريرة، وقد شهدناها حين شهر خطيبها بها فى الكنيسة على رعوس الأشهاد، تلوذ بالصمت، على فرط اضطرابهما للتهمة النكراء التى رميت بها، فلم تفتح فمها لتدافع عن شرفها إلا قليلاً، حيال غضبة أبيها وثورة نفسه، ولم تظهر عقب إغمائها إلا فى المشهد الأخير حين ثبتت براءتها، وفى هذا الموطن رأيناها تصفح عن "كلوديو" من أعماق قلبها، ولا توجه إليه كلمة ملام واحدة.

بنيديك

فتى من المحسوبين على الأمير وأصحاب حظوته. وقد صوره شكسبير نقيضاً لكلوديو، كما بدت هيرو نقيضة لابنة عمها، وإنه ليشق على المرء تحديد شخصيته مما كان الآخرون فى القصة يقولونه عنه؛ فإن نحن سمعنا للذعات "بياتريس" وغمزاتها، أسأنا بعض الظن وإن نحن تدبرنا مديح الأمير له، عجبنا لها كيف قست عليه إلى هذا الحد.

ويلوح لنا أن تظاهرة بکراهية النساء مرجعه إلى شىء فى خليفته ألف السكون إليه، وهو "العادة" حتى لقد قال عن نفسه إنه الجبار المشهود له بالقسوة عليهن، وإن كان قد أقام فى الواقع

فارقا ظاهرا بين رأيه الصادق الخالص وبين الفكرة التى أعلنها وادعى احترافها، وأشهد الناس عليها، وقد رأيناه يوحى إلينا بكلامه أنه لا يرضى من المرأة التى لا يتردد فى الزواج بها بالشيء اليسير من المحاسن ووجوه الفضل، ولكنه يعترف بأن ما يراه فيها ويؤمن به قد يتحول إلى حب إذا اهتدى إلى المرأة المثالية التى يشترطها.

وهو يتلقى نكات بياتريس وغمزاتها راضيا غير غاضب ويجب عنها ببراعة ظاهرة، ويعتز بفكاهته وحذقه للنكتة، ولا بأس عنده من أن تأتى على حسابه وتوجه إليه، إن جاءت طريفة مليحة ترضيه، وإن كان قد غضب فى ذات نفسه لنكتة واحدة رمته بياتريس بها. وهى وصفه بأنه "مهذار" الأمير فقد اعترف أنها أوجعته، وأحدثت أثرا بالغاً فى خاطره.

وقد عرفنا به فى مطلع القصة الرسول الذى قدم لنبى القوم بقرب مقدم الأمير، فقد قال عنه إنه قد عاد إلى المعارك مرحاً كما كان أبداً.

وهو رأى وجدنا جميع شخوص القصة يقرون الرسول عليه.

وقد جعلته طبيعته الرقيقة، أو سلامة فطرته، فريسة سهلة لمكايد الأمير وصاحبه، وعرضة لسخرية أصدقائه وشمااتهم به، ولا ريب فى أن التضحية التى بذلها حين اعترف بأن المغلوب المنحدر كانت عميقة الأثر فى نفسه الشفافة وعزته، ولكن علمه بأن بياتريس تتلوى من الحب له، كان يتغلب على تظاهره بكرهية النساء. فلم يلبث أن صدق الحيلة التى احتالها الأمير لإيقاعه فى الحباله، ولم يكن ثمة شك فى حبه حين استطاع التغلب على بغضائه للزواج، ولم تكن هى لتحمله على مطالبة صديقه كلوديو بالخروج إلى المباراة ركونا منها إلى الحب الذى يشتغل لها فى صدره حتى استجاب لها، ونزل على حكمتها.

أما ذكاؤه فقد تجلى فى عدة مواقف فى القصة فهو الأوحى الذى لبث فى مشهد القران الذى انتهى بمأساة، وإغماء العروس، ساكن الأوصال، مستربيا بالفرية التى افتريت عليها، بل هو أول من ذهب به الظنون إلى الشقى الذى دبر تلك المكيدة.

ولو أننا فصلنا واقعة حب كلوديو وهيرو من صلب الرواية لما أبقينا منها إلا على مواقف أليمة، ومشاهد لا يستروح خاطر إليها، ولكن الشاعر العبقري جاء بهذه العلاقة بين بنيديك وصاحبته لتكون تطلطيًا بعيدًا، ومواجًا سائغًا، وتوازنًا بهيجًا، مع العناصر الجديدة التى تتألف القصة منها. حتى لقد تشابها فى الاعتداد بالذات، والحرص على الكرامة، والشخصيتين الأخريين وهما كلوديو وحبييته. وإن كان اعتدادهما يبدو مشبعًا بمجانةٍ بديةٍ وسخريةٍ فكهة.

بياتريس

إن أول ما يبدو هنا عند تحليل شخصية بياتريس هو تماثلها العجيب لشخصية "بنيديك"، فهي أبدأً مرحلة. خفيفة الظل، راضية بالحياة، وكل منهما مستطرد في مجانة ممتعة على حساب الآخر. متقبل غمزاته، غير ضائق بها، معتر ببراغته في الرد عليها، فلم نر بنيديك متبرماً إلا بنكتة واحدة منها، وهى قولها عنه كما أسلفنا "مهذار الأمير"، ولم نشهدها غضبى من نكاته، إلا من غمزته، حين قال إنها "محفوظات" استذكرتها من كتاب "مائة النادرة" وهما على حد سواء فى إظهار النفور من الزواج، وفى التغلب عليه حين سماع أقوال الآخرين عما يكابده صاحبه من آلام الحب وتباريحه.

وهى تحب ابنة عمها "هيرو" أصدق الحب، وتؤمن ببراءتها من التهمة التى رميت بها، حين صدقها الآخرون حتى أبوها، وتحمل بنيديك على قتل كلوديو عقاباً له على ريبته بابنة عمها.

أما نفورها من الحياة الزوجية، كما نفر منها بنيديك، فلم يكن إلا تظاهراً ومراعاة. وقد بدت لنا فى لهفة خفيفة على القران حين ظفرت به ابنة عمها من قبلها. فقد مضت تزفر قائلة "ألا من زوج ألا من زوج!"، وهى صيحة هيهات أن تتبعث من قلب للزواج كاره..

دون بدرو

هو الأمير الذى يدين له "كلوديو" و"بنيديك" بالفضل فى وثبتهما إلى الشهرة والمجد، فقد أراد أن يشبع ولوعه بالمرح واللهو فجمع من حوله صاحبيه هذين، ومضى يعنى بهما، ويطلب لهما الخير جاهداً، حتى لقد تولى بنفسه مفاتحة "هيرو" فى أمر الزواج بكلوديو حتى ظفر لها بها، وهو الذى أصلح بين بنيديك وبياتريس. بتلك الحيلة اللطيفة التى دبرها، ولكنه بجانب هذا العنصر الطيب الكريم فيه لا يزال يشارك صاحبه "كلوديو" فى سرعة تقلبه، وتصديقه لما يقال له، واستسلامه لتضليل المضللين. وقد لقى جزاءه بذلك الاعتراف الصريح الذى أدلى به "بوراشيو" حين قبض الحراس عليه.

ليوناتو

هو حاكم مسينا، المدينة التى وقعت فيها أحداث القصة، كما يقول المؤلف فى بيان "أشخاص الرواية"؛ ولكن منصبه هذا، أو اشتراكه فى الحياة العامة، لا أثر له فيها، لأن مواقفه خلال فصولها متصلة بحياته الخاصة وكل خطرة وشأنه أنه والد "هيرو" التى أحبها أشد الحب،

حتى لقد رأيناه حين شهر بها كلوديو على الملأ، يفقد رباطة جأشه، ويؤثر الموت على الحياة، واحتمال هذا العار الذى جلبته على بيته وعشيرته.

وقد رأيناه يشرح مدى حبه لها، ويكشف عن مبلغ اعتزازه إياها، ولئن عبنا عليه ضعف الإيمان ببراءتها، وسرعة تصديقها لما نسج من الإفك حولها، فلا يزال له العذر، حين رأى ثلاثة شهود كبار يثق بهم يقرون أنها الأثيمة الجانية.

وليس من شك فى أن الحفاوة التى لقي بها الأمير وصاحبه تدل على طيب فطرته وكرمه، وبحبوحه نفسه، حتى لا أثر فيها لكبر أو غطرسة أو ازدهاء، فقد راح فى معاملته للشرطة والحراس بيدي جانب الرفق، ويصطبر للثرثرة، ويستأنى لسماع كلام لا يفهم منه شيئاً، كما كان يتقبل نكات "بنيديك" بالروح ذاتها التى كان هذا يرسلها، وهو يلوح لنا فى مختلف مشاهد القصة ومواقفها الرجل الهين الذى رقت الرفاهية من خليفته، على النقيض من كلوديو الذى أفسدته سعدته إلى الشهرة والعبث البعيد.

ولم يتردد هذا الشيخ على ضعف بنيته فى مجابهة الوشاة فى حق ابنته وتحديهم ومغاضبتهم، وإذا لم يكن هذا التحدى قد ظهر فى حرارة اللحظة بل بدا فيما بعد، عقب التروى والتفكير، فإن ذلك كله شاهد على شجاعته.

أنطونيو

هو أخوه، وليس له دور كبير فى القصة، فلا يبرز على أحسنه، إلا فى مطلع الفصل الخامس حين يتحدى الأمير وصاحبه، ويظهر على تقدمه فى السن، شجاعة رائعة، وحماسة متقدة، فى الدفاع عن شرف ابنة أخيه.

دون جون

هو شخصية الشرير فى القصة، والمسئول عن كل المتاعب التى حلت برب البيت وأهله، فحده المزاج، والكآبة الملازمة، والغيرة الكظيمة، كلها بواعث قوية على ما نرى من نذالته وسوء مسلكه؛ فلا نجد فى القصة شيئاً يبرئه من الإثم، أو يكفر عن سيئاته، ولعله الحق الذى كان يأكل قلبه على كلوديو، الذى كان يصفه بأنه "محدث النعمة" وأنه ارتفع على أنقاضه، فلا عجب إذا رأيناه فى وسط هذه الطبائع المرحلة الفرحة بترفها ونعماتها، مناقضا لها على خط مستقيم، فلم يكن ليبتسم يوماً للحياة، ولا الحياة ابتسمت يوماً له، ولكنه لبث حامضاً، كئيباً، ضجرًا، متبرمًا، يجمع من حوله أتباعًا على غراره، وحولاً من أشباهه، وهو أبداً المقل من الكلام، المتحفظ، المبدى ضجره ويرمه وبروده لكل إنسان، حتى ليقول عن نفسه إنه ليؤثر أن يكون

مستهدفاً للسخرية والامتهان على أن يغتصب من أحد حباً، أو ينتزع من قلبٍ ودًا. وقد استمكن الحقد منه على كلوديو فلم يتردد في تدبير أية حيلة للإساءة إليه حتى لقد أجزل العطاء لمن ارتضى أن يتولى ذلك عنه، كأنما قد وكل بأن يدمر سعادة الناس ويخلق لهم المتاعب، ويرنق عيش أصحابه...

بوراشيو وكونراد

ها تابعا "دون جون" اللذان أعاناه على تدبير المكيدة، أما الأول فهو الذى اقترحها عليه وتولى التنفيذ، واستغل الوصيفة مرجريت الساذجة فى تضليل كلوديو، ولكنه حين أدرك أن فعلته قد انكشفت لم يتردد فى الاعتراف. وترك فى نفوسنا أثراً حسناً من ناحيته.

وليس لكونراد دور يذكر فى الرواية إلى مجرد الشريك السلبى لبوراشيو، والزميل الذى سمع نبأ المكيدة منه، حين كان الحراس يسترقون السمع عليهما.

مرجريت وأرسولا

مرجريت صاحبة بوراشيو والمشاركة معه على جهل أو حسن نية، فقد حملها على تمثيل دور "هيرو" أو الظهور ليلاً فى الشرفة، لينخدع كلوديو، ويعتقد أن هيرو خائنة.

أما أرسولا فهى الوصيفة التى حذقت دورها فى الحيلة التى دبرت لبياتريس، حتى تقتنع بأن بنيديك يحبها، وهى الحيلة التى أراد بها الأمير دون بدرو أن تثنى بياتريس عن غيها، ويعدل بنيديك عن مجونه، ليقرب بينهما. ويدفع بهما إلى مصارحة الآخر بحبه.

دوجبرى وفارجس

شرطيان مضحكان يشعيان فى أفق القصة مرحاً وبهجة، كلما خيف أن تدنو من الجد، أو تفقد خفة الروح، وإليهما يرجع الفضل فى كشف المكيدة التى دبرت للقضاء على العذراء "هيرو" وانصراف كلوديو عن القران بها، شفاء لوجدة "دون جون" عليه، أن غلبه فى الحظوة عند أخيه.

ولم يكن كشفهما للمكيدة عن ذكاء، فهما غيبان، وإن كان غباؤهما لطيفاً يستريح خاطر إليه، وإنما وقعا على الحقيقة بمحض المصادفة، وهما يشرفان على العسس فى الطريق العام الذى يقع فيه بيت ليوناتو الحاكم.

والواقع أن التحقيق الذى تولياه مع الرجلين اللذين قبضا عليهما . وهما بوراشيو وكونراد صنيعتا "الشرير" "دون جون" - لم يكشف شيئاً يعين على جلاء المكيدة، ولولا اعتراف بوراشيو لكلوديو الأمير فى الفصل الخامس لما استطاع هذان الشرطيان إزاحة الستار وحدهما عن جلية الأمر وخافيته.

ولعل أبداع ناحية فى هاتين الشخصيتين المضحكتين ولوعهما بإظهار الجد، وتحريف الكلام، والتزئى بالعلم، وهما منه خلاء، فإن لأولهما "دوجبرى" طريقة ممتعة فى التظاهر ابلعلم، وهو الجاهل، وحسبان الخطأ هو الصحيح، والإلقاء بالحكمة السائرة، فى عبارات من لغته البعيدة من كل معروف ومألوف.

الكاهن

هو الأخ فرانسيس . ولعله من لقه راهب من جماعة الإخوة أو الفيرير لأن كلمة Friar هى وكلمة "فيرير" سواء. ولكننا آثرنا أن ندعوه "الكاهن" لأنه هو الذى جئ به ليعقد القران فجرت مأساة التشهير بالعروس وهى أمام الهيكل على عينيه.

ولهذا الكاهن دور كبير الشأن فى القصة، فهو رجل أوتى علما بخوالج النفوس، ودراسة الشخصيات، فلم يلبث عقب الفضيحة التى حدثت فى محضره وأدت إلى إغماء العروس، أن ذهب خاطره إلى أنها بريئة مما اتهمت فيه، فوضع خطة لتبديد الريبة، وكشف الحقيقة لعلها رادة كلوديو إلى حبه، وقد نجحت تلك الخطة من بوادرها، لولا موقف التوعد والتحدى الذى اتخذه ليوناتو وأخوه أنطونيو عند لقائهما كلوديو والأمير عقب الحادثة التى وقعت فى الكنيسة، ولكن هذا الموقف لم يأت بالنتيجة التى كان الكاهن يرجوها، وهى شعور كلوديو بالندامة، بل تجاوز ذلك إلى أمر زاد فى نجاح الخطة، وهو استجابته لما أريد منه بغير تردد أو اعتراض..

معالم بارزة فى فصول القصة ومشاهدها

تتنظم روايات شكسبير مجموعتان، الأولى ظهرت كلها قبل عام ١٥٩٥ وهى "جهد حب ضائع" و "مهزلة أغلاط" و "حلم ليلة صيف" و "سيدان من فيرونا" و "روميو وجولييت" و "ريتشارد الثانى والثالث" و "هنرى السادس" فى أجزائها الثلاثة، وتشمل الأخرى . وهى الفترة الثانية بعد ذلك التاريخ . "الملك جون" و "تاجر البندقية" و "ترويض الشريرة" و "هنرى الرابع" بجزأيهما. و"زوجات وندسور المرحات"؛ و "هنرى الخامس" و "كما تشاءون" و "الليلة الثانية عشرة". وهذه القصة التى ننقلها إلى العربية. وهى إحدى ثلاث مسرحيات كتبها المؤلف فى أرغد أيامه، وأبهج أدوار حياته، وأملاً مراحلها فكاهاة ومرحاً، قبل أن ينتقل إلى النواحي الجادة من حياة الناس، ويرسم مآسى

عيشهم، ويصور أفاعيل غرائزهم، بعد أن فرغ من رسم صنوف نزقهم، وألوان حماقتهم، وضروب لهوهم فى الحياة. فقد وضع فى هذا الدور مأسية الخالدات، يوليوس قيصر، وهملت، وعطيل، والملك لير.

وقد امتازت المسرحيات الثلاث التى أسلفنا ذكرها بسمو الخيال، ولطف خاطر، واكتمال الفن، وطرافة النكتة، وخفة الظل، وبعد مطارح المجون.

وسيرى القارئ مبلغ ما ازدحمت به هذه القصة من لمع الفكاهة، وأبداع ألوان المجانة، على قلة عناصر الموضوع فيها وندرة الحوادث خلالها، حتى لتكاد تكون "حوارا" جميلاً، ومساجلات فكهة، وإن لم تخل جملة من مواقف رائعة، لعل أبداعها وأروعها المشهد الذى بدأ فى الكنيسة، حين انبرى العروس يشهر على رعوس الأشهاد بعروسه، ويرميها بالخيانة والعار، وما أعقب هذا التشهير من إغمائها أمام الهيكل قبيل حفل الزفاف.

فقد يكون مشهد كهذا فى رواية مرحة أكثر مما تحتمله الأعصاب، أو يتسق والموضوع الذى تدور القصة حوله، ولكن ما يخفف من أثرها أن النظارة الذين يشاهدونها، والقراء الذين يطالعونها، يعرفون أن التهمة التى رميت العروس بها وليدة مكيدة مدبرة، ويعلمون أنها بريئة منها كل البراءة، وإن جهل الأمر أبطالها الآخرون، ووقعت التهمة من نفوسهم أسوأ موقع، وفى ذلك يقول "شليجل": إن هذا المشهد هو قطعة رائعة بكل معانى الروعة، وإن تأثيرها المسرحى لا يكاد يدانيه شيء، وكان وقعها سيروح محزنا فاجعاً، لولا حرص شكسبير على التخفيف من حدته، توطئة لظهور حادث سعيد، والمضى بالقصة إلى نهاية موقفه..

وناهيك بما فى الحوار المستمر بين "بياتريس" وبنيديك والتراشق بالنكت المليحة من ثروة مجانية وارتفاع بالغ فى آفاق السخرية واللعب بالألفاظ، والافتنان فى مختلف ألوان البديع والبيان.

ولا نحسب ما حفلت به مسرحية "كما تشاؤون" من حوار بين "أورلندو" و"روزالند" يضارع مثيله فى هذه القصة أو يقع قريباً منه، إلا أن الترشق بالنكات بين بياتريس وبنيديك هنا، يبدو لاذعاً موجعاً، مليئاً بسخرية. بينما يغلب على مثله فى المسرحيات الأخرى طابع المجانة البحت والعتب الخفيف.

فقد صور الشاعر بياتريس وبنيديك خلال قصتنا هذه فى صور المتمردى على الحب، المتأبىين على فكرة الزواج، الساخرين من الرجال والنساء بالسوء، ومضى يرسم لنا فى حذق بالغ كيف دبر أصحابهما لهما مكيدة لطية لحمل كل منهما على الإيمان بأن الآخر يكن الحب له ويخفى الميل إله، فى أعماق صدره، وأغوار جوانحه.

وقد رأينا أصحابهما ينسبون لأنفسهم فضل هذا التحبيب بينهما، إلى لطف وسيلتهم وبراعة مكيدتهم، ولكن حرص كل منهما على هذا العبث اللاذع بالآخر كان في ذاته دليلاً على نمو الميل إليه، واستمكان الحب منه؛ وحين اعترفا به، لم يفارقا المجون لحظة، ولم ينصرفا من السخرية والتهكم، ولم يسكنا إلى الجد غير مرة، عندما وقفا وقفة الدفاع عن البريئة المتهمة.

وليس من شك في أن شكسبير لم يخطئ المرمى، لأن المولعين بالنكتة بنتهون في أغلب الأحيان عند نقطة لا يرتضون اجتيازها، ما لم يشاءوا أن يؤخذوا مأخذ المهاذير المغفلين.

وسيرى القارئ كيف مضى شكسبير في تصوير بياتريس يحدثنا عن مدى اجتماع قوى العقل والحيوية وتفاعلها في مثل تفاعل النار والماء، على حين جعل بنيديك الذى يكره النساء ويجاهر ببغضهن، يتحول ببراعة ظاهرة إلى فكرة الزواج، على أثر سماعه بنياً حب بياتريس له.

وجاءت شخصية "هيرو" العروس التى اتهمت ظلماً متقنة التصوير، متناقضة أبداع التناقض وشخصية الماجنة اللاذعة بياتريس. وبدأت علاقة الفتاتين طبيعية تملك الإعجاب. فقد صور المؤلف "هيرو" قليلة الكلام عن نفسها، مستعينة عنه ببلاغتها في ذاتها، وجعل الأخرى تسمو عليها بروحها الجياشة وعقلها الجبار، وإن كانت "هيرو"، إلى جانب جمالها ورقتها، قد أوتيت بوصفها بطلة القصة جمالاً روحياً منقطع النظير.

وسيتبين القارئ أيضاً أن الشاعر جعل، كلما مالت به القصة إلى ناحية الجد المفرط، يعود فيخفف من حدتها بمشاهد فكهة، ومحاورات طلبية، وبخاصة المشهد الذى يتجلى فيه الشرطى المتعالم وأصحابه الذين استعان شكسبير بهم، إلى جانب عنصر الفكاهة فى أشخاصهم وتصرفاتهم، على كشف المكيدة التى دبرها الحقود "دون جون" وخادمه "بوراشيو" بأسلوب مفعم مجانية وطريقة لطيفة المدخل على النفوس.

أشخاص القصة

دون بدرو	: أمير أرجون	دوجير	: شرطى
دون جون	: أخ له غير شرعى	فارجس	: زميل له
كلوديو	: فتى نابه من نبلاء فرنسا	خادم كنيسة	:
بنيديك	: فتى نابه من نبلاء بادوا	غلام	:
ليوناتو	: حاكم مسينا		
أنطونيو	: أخوه	هيرو	: ابنة ليوناتو
بالتازار	: أحد موالى دون بدرو	بياتريس	: ابنة أخيه
كونراد		مرجريت	
بوراشيو		من أتباع دون جون	وصيفتان لهيرو
		أرسولا	
فرانسيس	: الراهب	رسل وحراس وأتباع	

وقائع القصة فى مسينا

الفصل الأول

المنظر الأول

أمام بيت ليوناتو

يدخل ليوناتو وهيرو وبياتريس مع رسول

ليوناتو: لقد علمت من هذا الكتاب أن "دون بدرو" أمير أرجون قادم الليلة إلى مسينا

الرسول: إنه الساعة جد قريب، فقد كان على ثلاثة فراسخ منها حين تركته.

ليوناتو: كم من السادات فقدتم في هذا القتال؟

الرسول: قليلاً من مختلف الرتب، ولم نفقد من العلية أحداً

ليوناتو: إن النصر ليعد مزدوجاً حين يعود المنتصر إلى وطنه كامل العدد، تام

الصفوف، وقد علمت من هذا الكتاب أن دون بدرو قد أضفى شرفاً عظيماً على فتى فلرونسى يدعى كلوديو.

الرسول: لقد استحقه من جانبه عن جدارة بالغة، وعن نصفه من جانب دون بدرو،

بالسواء، فقد تجاوز في مسلكه، ما كان مرتقياً ممن في مثل سنه، وفعل وهو الحمل ما يفعله الأسد. وفاق في الواقع ما كان منتظراً أكثر، مما تنتظر منى أن أصفه لك.

ليوناتو: إن له عما هنا في مسينا سيسر بهذا سروراً عظيماً

الرسول: لقد حملت إليه الساعة كتباً

فغلبه فرحٌ شديدٌ، إلى حد جاوز الاعتدال، فلم يستطع فرح أن يبدو خالياً من مظهر أسى، ودلائل حزن

ليوناتو: هل أجهش بالبكاء؟

الرسول: في فيض زاخر.

ليوناتو: إنه لفيض طبيعي من غريزة الحب، فليس في الوجوه وجه أصدق مما تغسله

الدموع، إن البكاء للفرح لأفضل كثيراً من الفرح للبكاء

- بياتريس: نبئنى من فضلك هل عاد السنيور مونتانتو (١) من الحرب أو لم يعد؟
- الرسول: لا أعرف أحدًا بهذا الاسم يا سيدتي، وليس فى الجيش امرؤ ذو شأن يحمل هذا اللقب
- ليوناتو: من هذا الذى تسألين عنه يا بنة الأخ؟
- هيرو: إن ابنة العم تقصد السنيور بنيديك من أهل بادوا
- الرسول: آه.. لقد عاد، مرخًا كديده.
- بياتريس: لقد أعلن هنا فى مسينا
- تحيه "لكيوبيد" (٢) فى الرماية بحداد النبال، التى تصمى من المسافات الطوال ولكن مهذار عمى حين قرأه، قبل عن كيوبيد تحديه، فى الرماية بالسهم القصار، التى ترمى بها الأطيوار (٣) نبئنى كم تراه قتل وأكل فى هذا القتال، بل نبئنى كم تراه قتل، لأنى فى الواقع وعدته أن أكل جميع قتلاه (٤)
- ليوناتو: يمينًا يا بنة الأخ إنك لمفرضة فى التهكم بالسنيور بنيديك، ولكنى لا أشك فى أنه سيصفى معك حسابه
- الرسول: لقد أبلى فى هذه الحروب يا سيدتى بلاء حسنًا
- بياتريس: لقد كان عندكم طعام زرخ فساعدكم على أكله لأنه النهم الجرى على الخوان وقد أوتى معدة جيدة

(١) مونتانتو . لفظه معناها طعنة إلى أعلى بالسيف فى ألعاب الشيش، ومن هنا جاءت تسمية بياتريس لبنيديك بالسنيور مونتانتو سخرية وتهكما، كإشارة إلى أنه لاعب أو كثير الزهور والادعاء.

(٢) إله الحب عند الإغريق. وهو يصور فى شكل صبى أعمى يحمل قوسًا وسهمًا، يصيب بها حبات القلوب.

(٣) والمراد هنا أن بنيديك أعلن أنه يتحدى إله الحب أن يظفر له بامرأة أوتيت من الجمال حظًا تستطيع به أن تملك هواه. وهذا هو سر سخرية بياتريس منه وتهكما به. والسهم الحداد معروفة بطولها وخفة سرعتها وكثرة رشها، وهى السهم المرشثة، أما السهم القصير فلا تخش من الطير غير جلودها، وكان الإغريق يسمحون للمضحكين والمهرجين والحمقى باستخدامها.

(٤) أى إنما تعرف أنه لن يستطيع قتل أحد فتعهدت له أن تكل من يقتله واثقة أنه لن يقتل.

- الرسول: وهو جندي شجاع أيضاً يا سيدتي (١)
- بياتريس: جندي شجاع لسيدته ولكن من هو أمام سيد؟
- الرسول: إنه لسيد أمام سيد، ورجل قبالة رجل، حشوه جملة المكارم والمناقب.
- بياتريس: حقاً إنه لكذلك، فما هو إلا رجل محشو أما عن الحشو ذاته، فكلنا بشر
- ليوناتو: لا تخطئي يا سيدى فى فهم ابنة أختى إن بينها وبين السنيور بنيدىك حرباً فكهة، فلا يلتقيان مرة إلا ونشبت بينهما مناوشة مزاح.
- بياتريس: ولكنه للأسف لا يكسب منها شيئاً، وفى آخر معركة بيننا راحت أربعة من أحساسيه الخمسة (٢) تمش عرجاء ظالعة فلم يبق له منها اليوم إلا واحدة فإن كانت له مسكة من ذكاء تكفى لتدبير أمره ورعاية شأنه، فليحرص عليها حتى تكون فارقاً بينه وبين حصانه، لأنها كل ما يملكه ليبدو مخلوقاً عاقلاً من اليوم رفيقه لأن له فى كل شهر صديقاً وفيّاً
- الرسول: أجازر هذا؟
- بياتريس: إنه جد جازر ممكن إنه يبذل عهوده كما يغير قبعته، فهو يغيرها كلما استحدثت قالب أو تغير زى
- الرسول: يلوح يا سيدتى أن السيد ليس فى حظوتك، ولا هو فى كتبك ودفاترك (٣)
- بياتريس: بلى، ولو أنه كان كذلك لأحرقت مكتبتي، ولكننى أسألك من رفيقه؟ اليس ثمة فتى شكس يذهب معه فى سفرة إلى الشيطان؟
- الرسول: إنه أكثر ما يبدو فى رفقة النبيل كلوديو.

-
- (١) هنا جناس فى اختلاف التهجى، فإن too معناها أيضاً أو كذلك، وقد حذفت ياء المنادى فى الأصل وجاء رد بياتريس "جندي" لـ"السيدة" فاستخدم شكسبير to جناساً مع أيضاً too
- (٢) المراد بالأحاسيس الخمسة الفطنة والمخيلة والتصور والتقدير والذاكرة، وهى مطابقة للحواس الخمس، البصر والسمع والشم والذوق واللمس.
- (٣) أى لست عنه راضية. وقد جاء الشاعر بهذه العبارة ليأتى الرد مناسباً فى قولها "لأحرقت مكتبتي"، كما سيلي.

بياتريس: يا لله! إنه سيلزمه ملازمة الداء، بل هو أسرع إليه من الوباء، فلا يلبث المصاب أن يجن، كان الله فى عون كلوديو النبيل إذا كان قد أصيب ببينديك^(١) لسوف تكبده تلك العلة ألفا من الجنيات قبل أن يقدر له الشفاء

الرسول: سأحرص على مودتك يا سيدتى^(٢)

بياتريس: افعل أيها الصديق الكريم

ليوناتو: لن تصابى يابنة الأخ بجنون يوماً.

بياتريس: أبداً، أو يأتى شهر يناير حرًا وصهدًا^(٣)

الرسول: ها هو ذات دون بدرو مقبل

(يدخل دون بدرو دون جون وكلوديو وبينديك وبلتازار)

دون بدرو: يا سنيور ليوناتو الكريم لقد جئت لتلقى عناء إن ديدن العالم تجنب المتاعب وديدنك أنت مواجعتها.

ليوناتو: ما طرق العناء يوماً بيتي، فى صورة سماحتك، ومادام العناء قد ارتحل فقد آن للراحة أن تحل، ولكن حين تفارقني، يقيم الحزن عندى ويلزمنى، ويولى عنى السرور.

دون بدرو: إنك تتقبل المغارم مفرطاً فى الرضى بها، أظن هذه ابنتك.

ليوناتو: هكذا قالت لى أمها مرارًا

بينديك: هل كنت فى شك يا سيدى حتى تسألها؟

ليوناتو: لا، يا سنيور بينديك، لأنك كنت يومئذ طفلاً.

دون بدرو: هذه لطفة "قوية" يا سنيور بينديك، ومنها نستطيع أن نحرز من تكون، وأى رجل أنت، حقاً إن السيدة قد دلت على بنوتها لأبيها، اسعدى يا سيدتى لأنك شبيهة بأب كريم.

(١) بينديك: هو اسم الرجل الذى تتحدث عنه، ولكن بياتريس تلمح أيضاً إلى مرض يُدعى بهذا الاسم، ويصيب المرضى بالجنون، كما يفهم من قول عمها الذى سيلي هذا الكلام.

(٢) أى حتى لا أستهدف لهجوك

(٣) وهو مستحيل

- بنيديك:** لو كان السنيور ليوناتو أباهما لما رضيت برأسه على كتفها (١) ولو أعطيت مسينا بأسرها ما دامت كما هي شبيهة به
- بياتريس:** عجبى كل يا سنيور بنيديك إنك لا تتقطع عن الكلام، ولا أحد يلتفت إليك.
- بنيديك:** وي.. ألا تزالين أيتها "السخرية" الغريزة حية؟
- بياتريس:** وهل يكن أنت تموت السخرية، ولديها مثل السنيور بنيديك طعامًا شهيا..؟ إن المجاملة ذاتها لتتقلب حتمًا إلى سخرية، لو مثلت حضرتها.
- بنيديك:** المجاملة إذن متقلبة غادرة، ولكن الذى لا ريب فيه أننى محبوب من النساء جميعًا ما عداك، وودت لو أجد فى نفسى أنى لست قاسى القلب، لأننى فى الحق، لا أحد منهن واحدة.
- بياتريس:** ذلك من حسن حظ النساء، وإلا لأصبت بخطيب خبيث، وإنى لأحمد الله، ودمى البارد، على أن مزاجى شبيه بمزاجك فى هذه الناحية حتى لأوثر أن أسمع كلبى ينبح غرابًا، على أن أسمع رجلاً يقسم أنه يحبنى.
- بنيديك:** أرجو الله أن يبيحك دائما على هذا الرأي، حتى ينجو الرجال من خدش الوجوه المقدر لهم، إذا هم أصيبوا بك
- بياتريس:** لن يستطيع الخدش أن يجعل وجوههم أسوأ صورًا، إن كانت مثل وجهك
- بنيديك:** حقًا إنك لمعلمة بباغوات نادرة.
- بياتريس:** لطائر لسانى خير من وحش مقولك.
- بنيديك:** وددت لو أن لحصانى سرعة لسانك، وجلده على الاستمرار، ولكن بالله عليك امكثى حيث أنت، فقد انتهيت أنا واكتفيت.
- بياتريس:** إنك لتنتهى أبدًا بمكر الحصان المكدود، حين يخرج رقبتة من الطوق (٢) إننى أعرفك من زمن بعيد.

(١) أى لما قبلت رأسه الأشيب.

(٢) من عادة الحصان المنهوك المتعب الذى لا قيمة له أن يحرن، ويحاول بمكر، أن يقف عن السير فيخرج رأسه من "رقبته" والمعنى أنه فى جلده معها، ينتهى متعللاً بأنه قد أدى ما عليه ورقى ما عنده.

دون بدرو: إليك يا ليوناتو جملة الخبر. إن صديقي العزيز ليوناتو، دهاكما يا سنيور كلوديو ويا سنيور بنيديك إلى ضيافته، وإنى لقائل إننا سنقيم هنا شهراً على الأقل^(١) وهو يرجو من صميم قلبه أن تعرض مناسبة فتجعل مقامنا عنده أطول أمداً، وفي وسعي أن أقسم أنه ليس بمنافق، ولكنه يرجو هذا من كل قلبه صادقاً.

ليوناتو: إذا أقسمت يا مولاي فلن تكون في قسمك حانثاً.

(إلى دون جون) أهلا بك يا موالى وسهلاً، إنى لمؤد لك كل الواجب مادمت أنت والأمير أخوك في صفاء

دون جون: أشكرك. وما أنا بأخى بيان^(٢) ولكنى شاكر لك.

ليوناتو: تفضل يا مولاي فتقدم بنا

دون بدرو: هات يدك يا ليوناتو ولنسر معاً

(يخرج الجمع إلا بنيديك وكلوديو)

كلوديو: هل لاحظت يا بنيديك ابنة السنيور ليوناتو؟

بنيديك: لم ألاحظها، ولكنى شاهدتها^(٣)

كلوديو: أليست ذات خفر وشباب؟

بنيديك: هل تسألنى سؤال رجل صادق يطلب رأياً الصريح وحكمى الحق، أو تريد منى أن أتكلم على عادتى كلام جبار مشهود له^(٤) بالقسوة على النساء كلهن؟

كلوديو: كلا، أناشذك أن تتكلم بهدوء، وتتروى فى الحكم.

(١) على سبيل الإنذار والفكاهة، وكثيراً ما يقول الضيف شيئاً كهذا لمضيفه مزحاً.

(٢) يبدو من اقتضابه أنه رجل جهم حاد الطبع، قلما يتأدب فى حديثه، وهو يعتذر بأنه ليس من أصحاب الكلام ولا من الفصحاء أهل البلاغة.

(٣) أى أنه شاهدها ولم يتأملها والفرق ظاهر بين الملاحظة والمشاهدة.

(٤) فى الأصل طاغية معترف به أو كما نقول فى أيامنا هذه "محترف" جعل كراهية النساء دينه.

بنيديك: يلوح لى حقًا أنها "أقصر" قامة مما يستحق مديحًا "طويلاً"، وأسمر لونًا مما يستأهل إطراءً زاهيًا وأضالً بدنًا مما يستوجب ثناءً عظيمًا^(١) وليس لها عندى ما يزيكها إلا شيء واحد، وهو أنها لو لم تكن كما هي، لكانت غير مليحة، أما وهي هي، فلست أستحسنها.

كلوديو: هل تظننى هازلًا؟ إننى لأرجو إليك أن تنبئنى حقًا ما شعورك نحوها.

بنيديك: هل تريد أن تشتريها ومن أجل ذلك تسأل عنها؟

كلوديو: هل فى وسع الدنيا أن تشتري جوهرة كهذه؟

بنيديك: نعم، وحقًا لتوضع فيه، ولكن أتحدث عن جد أم تريد العبث بي؟ لتقول لنا

إن كيوييد بصير ككلب الصيد، وإن فولكان نجار نادر^(٢)؟ الا قل لى أى نغمة أتخذ لكى أوائم أنشودتك، أنغمة فرحة أم محزنة تريد^(٣)؟

كلوديو: إنها فى عينى أملح امرأة وقع عليها ناظرى.

بنيديك: لا أزال قديرًا على النظر بغير منظارين. ولكنى لا أرى شيئًا من هذا القبيل.

انظر إلى ابنة عمها إنها لتفوقها كثيرًا فى الجمال، كما يفوق أول مايو آخر ديسمبر، لولا سرعة الغضب التى تملكها ولكنى أرجو ألا تكون منتويًا أن تتقلب زوجًا. أترك انتويت.

كلوديو: لا أحسبى أستطيع السيطرة على نفسى إذا رضيت هيرو أن تكون زوجتى،

وإن كنت قد حلفت لا أكون زوجًا.

بنيديك: هل وصل الأمر إلى هذا الحد؟ يمينًا أليس فى الدنيا رجل واحد، لا يلبس

قبعته موسوسًا متشككًا^(١)؟ ألن يقدر لى مرة أخرى أن أرى رجلاً أعزب فى

(١) هكذا فى الأصل، وقد راعى الناقل الطباق أو التقابل بين قصر القامة وطول المديح وبين سمر البشرى، وزهى الثناء، وبين ضالة البدن، وعظم الإطراء، ويبدو شكسبير فى هذه الرواية كثير اللعب بالألفاظ، مسرفًا فى المحسنات وألوان البديع والبيان.

(٢) المعروف أن كيوييد إله الحب أعمى، فمن العبث أن يقال إنه حديد البصر ككلب الصيد وأن فولكان إله النار والمعادن فمن الهزر أن يقال عنه إنه نجار يحترف صناعة الخشب.

(٣) استعارة من الموسيقى. يريد بها المؤلف أن يقول ماذا تريد منى أن أبدو هل أجد أو أهز لكى أوافقك على رأيك.

الستين من العمر.. ماذا أصابك، يمينًا لو استوجب الأمر إدخال عقلك فى النير فالبس شعاره أيام الأحد، واقضها فى شكاة وأنين، فعل المصلين العابدين المستغفرين^(٢). انظر ها هو ذا دون بدرو عائد لافتقادك (يدخل دون بدرو)

دون بدرو: أى سر احتجرك فى هذا المكان فلم توافنا إلى دار ليوناتو؟

بنيديك: أرجو من سماحتك أن تعينى من الكلام.

دون بدرو: إننى ألزمك بحق ما لى عليك من ولاء.

بنيديك: هل سمعت يا كونت كلوديو. أن فى وسعى أن أصمت صمته الأبكم، وأحب

أن تفهم هذا عنى. أما وهو كما ترى ملزمنى الكلام بحق ما له من ولاء. إنه يناشدنى القول بحق الولاء، فلا معدى لى من القول "إنه يحب" أما من، فذلك هو دور سماحتك فى استطلاع جليته.. وانظر بعد إلى "فصر" الرد الذى هو راده، إنه يحب... "هيرو" القصيرة ابنة ليوناتو

كلوديو: إذا كان الأمر كذلك فقد باح به.

بنيديك: كالقصة القديمة يا مولاي، ليس الأمر كذلك، ولم يكن كذلك ومعاذ الله أن

يكون كذلك"^(٣)

(١) استعارة يراد بها، هل خلت الدنيا من رجال لا يستريحون بنسائهم فهم يضعون القبعات فوق رؤوسهم لإخفاء قرونها.

(٢) إشارة على ما كان يفعله المتشددون فى الدين، وهم طائفة "البيوريتان" المترمتون فى العبادات على عهد الملكة إليزابيث يوم الأحد إذ يلبسون ثيابا بسيطة ويقضون وقت الصلاة فى عبادة وبكاء وأنين.

(٣) القصة القديمة . هذه إشارة إلى قصة قديمة معن سيدة تدعى "الليدى ماري" ذهبت يوما لزيارة رجل من معارفها يدعى "المستر فوكس" وكان غائبا فاكتشفت فى بيته حجرة اعتاد أن يخفى فيها جثث النساء اللاتى قتلهن، ولم تكدر تخرج منها حتى لمحتة والسيف فى يمينه وهو يجرد سيدة إلى البيت. فبادرت إلى الاختباء حتى لا يراها، وحين وصل إلى البيت مضى يجرد فرسته فوق مدارج السلم فتمسكت بالسياج فلم يكن منه إلا أن بتر يدها من المعصم بسيفه واستطاع أن يقتادها إلى الحجرة الرميية. وأما السيدة ماري فتمكنت من الهرب وأخذت الكف المقطوعة معها دليلا على الجريمة. وفى ذات يوم كان المستر فوكس يتناول العشاء فى دارما فانتهزت هذه الفرصة لامتحانها. ومضت تروى له كيف زرته فى بيته كأنها رؤية فى المنام أو حلم من الأحلام وجعلت تقول خلال الرواية أليس كذلك أو لم يكن الأمر كذلك، إلى أن وصلت إلى حكاية

- دون بدرو:** يمين الحق لقد قلت ما أعتقد.
- كلوديو:** ويمينًا يا مولاي، لقد أفصحت أنا عن خاطري
- بنيديك:** وبالحقين واليمينين يا مولاي معاً، لقد جهرت بما أعتقد
- كلوديو:** أما أنى أحبها فذلك هو شعورى.
- دون بدرو:** وأما أنها جديرة بالحب، فذلك هو علمى.
- بنيديك:** وأما أنى لا أدرى كيف تحب مثلها، ولا أعلم كيف تكون بالحب جديرة؟ فذلك هو الرأى الذى لن تستطيع النار أن تذيبه من أعماق نفسى، ولن أتحول عنه ولو مت فوق الخابور.
- دون بدرو:** لقد كنت أبداً العنيد فى الكفر بالجمال والازدراء به
- كلوديو:** ولم يكن يوماً بقادر على الاحتفاظ بكفره وعناده إلا بقوة إرادته
- بنيديك:** أما أن امرأة حملت بى، فأنا لها شاكر، وأنها ربتنى صغيراً ونشأتى صبياء، فلها منى أصدق الشكر وأعظم الخضوع، أما أن تطلق الأبواق عند جبهتي، لتردنى عن عقيدتي، رد كلاب الصيد الطريفة، أو أن تعلق خية فى منطقتي، فأستميح النساء جميعاً معذرتي، وإذ كنت أظلمهن بالشك فيهن، فسوف أنصف نفسى فلا أسكن إليهن و"جملة" القول الذى هو بى "أجمل" أننى سأعيش أعزب (١)
- دون بدرو:** أرجو الله أن أراك قبل مماتى شاحباً مصفراً من فرط الحب
- بنيديك:** قل من فرط الغضب، أو من حدة الوصف، أو شدة السغب، يا مولاي، ولا تقل من فرط الحب، أثبت أننى سأفقط يوماً من الدم، بالحب والغرام والعذاب، أكثر مما أستعيده بالشراب، أسمل عيني بريشة شاعر أغن، وعلقنى على باب ماخور رمزاً لكيوييد الضرير.
- دون بدرو:** ويوم تتحول عن هذا الرأى، تروح أن الحجة الرائعة على نفسك.

الحجر: الرمبية، فلم يلبث المستر فوكس أن راح يردد ليس الأمر كذلك ولم يكن الأمر كذلك ومعاذ الله أن يكون كذلك.

(١) حتى أمه التى حملته ووضعته لى لها عنده إلا كلمة شكر، واستعارة الأبواق هنا مأخوذ: من الصيد حين ينفخ فيها تنبيهاً إلى الصيادين وكلابهم بوجوب العودة وتعليقاً خفية فى منطقتهم مجاز آخر فى المعنى ذاته.

بنيديك: فإن فعلت فعلقوني فى سلة كالقط وارموني بسهامكم، وارتوا على كتف من يصيبني وادعوه آدم الرامية (١)

دون بدرو: ليكن الحكم للزمن، "فمن الزمن يرضى الثور النافر بالنير حول عنقه".

بنيديك: قد يرضى به الثور المتوحش، ولكن إذا رضى به بنيديك العاقل فانزعوا قرني الثور وأثبتوهما فى جبته، وصوروني أنكر ما تصوروني، واكتبوا بأحرف غلاظ كالقرون "هذا حصان يستأجر" وليعلنوا تحت رسمى "انظروا ها هو ذا بنيديك البعل" (٢)

كلوديو: لو وقع ذلك يوماً لكنت مجنوناً "صارحاً من قرونه"

دون بدرو: أجل، إذا لم يكن كيوييد قد بعث إلى البندقية بكل ما فى جعبته من السهام المريشة (٣) فستصبح وشيخاً "ساهماً"، "راعشاً"، كريشة فى مهب الريح (٤)

بنيديك: بل لتزلزل الأرض يومئذ زلزالها.

دون بدرو: سيأتى ذلك اليوم المشئوم فلا تستعجله والآن ادخل يا سنيور بنيديك الكريم إلى دار ليوناتو وأقرئه عنى السلام ونبئه أننى لن أتأخر عن موعد العشاء، لأنه فى الحق قد استعد استعداداً عظيماً.

(١) كانت العادة أن توضع القطط فى زجاجات خشبية مدلاة من حبل ومع القطط كمية من السناج فمن قدر على إصابة الزجاجة من قاعها وهو يجرى من تحتها ولا يصيبه الهباب، كان هو الفائز وأما "آدم" هنا فأحد ثلاثة اشتهروا بحسن الرماية فى تلك الأيام وأولهم آدم بل، وقد دون الأسقف برسى أعمالهم الرائعة فى كتاب "المخالفات".

(٢) نهاية فى وصف كراهيته للزواج، انظر إلى إشارته إلى "القرون" وحصان الأجرة كما جاء ر: كلوديو "صارخاً من قرونه" مناسباً للموضوع.

(٣) إشارة إلى السهام التى يحملها إله الحب فى كنانته. وقوله "فينسيا" يرجع إلى شهر البندقية بكثرة العشاق. والمعنى أن كيوييد سيستفيد كل ما لديه من السهام إذا هو زر تلك المدينة، أما إذا بقى لديه منها شيء فلن يلبث بنيديك أن يصيح من سهام الحب جرحاً.

(٤) استعرتنا هذا الوصف "ساهماً" "راعشاً" "كريشة"... إلخ للتقريب بين الجنس الذى لجأ شكسبير إليه، فإن كلمة الجعبة فى الإنجليزية هى quiver وهى أيضاً فعل معناها "يوعش" وقد أشبعنا الاستعارة للمقابلة بين قولنا "السهم المريشة" وبين قولنا "ساهماً راعشاً كريشة".

بنيديك: أكاد أجن فى نفسى من الذكاء ما يكفى لتأدية هذه السفارة، ولهذا أترككما ل... .

كلوديو: لرعاية الله . من منزلى (لو كان لى منزل)^(١)

دون بدرو: السادس من شهر يوليو.. صديقك المحب بنيديك^(٢)

بنيديك: لا تسخر.. لا تسخر إن صلب مناقشاتك ليبدو أحيانًا كالثوب الكثير الحليات والحواشي، ولكنها حواش ملفقة على الثوب أو لاصقة قليلاً به^(٣)، وقبل أن تمعنا فى السخرية من كلامى عودا إلى ضميركما.. وبهذا أترككما (يخرج).

كلوديو: مولاي، إنك لتستطيع اليوم أن تنفعنى.

دون بدرو: إن حبى لك يطلب علمًا بما تريد، فما عليك إلا أن تعلمه كيف يخدمك، تجده مستعدا لكل درس صعب فيه لك خير^(٤)

كلوديو: هل لليوناتو ولد يا مولاي؟

دون بدرو: ليس له إلا ابنته "هيرو"، وهى وريثته الوحيدة، فهل تحبها يا كلوديو؟

كلوديو: آه يا مولاي، حين ذهبت إلى هذه الحرب التى وضعت أوزارها منذ قليل، كنت أنظر إليها بعين جندى ينازعه الميل ولكن أمامه مهمة أشق من الدفع بعاطفة "الميل" إلى اسم "الحب"، أما الآن فقد عدت، وخلا الذهن من أفكار الحرب، وحلت مكانها كثرة الأمانى العذبة الرقيقة، تدفعنى كلها إلى التفكير فى مدى حسن هيرو وفتنة جمالها، وقد قلت إننى كنت "أميل" إليها، قبل أن أذهب إلى الحرب^(٥).

(١) عبارة كانت العادة فى ذلك العهد أن تكتب فى نهاية الخطاب كقولنا اليوم "وتفضلوا إلخ" وأضاف من منزلى "كقولنا "تحريرا فى" وزد بين قوسين "لو كان لى منزل لأنه بعيد عن بلده".

(٢) وأردف دون بدرو مكملًا "السادس من شهر يوليو" - أى التاريخ . المحب "بنيديك" إشارة على التاريخ والإمضاء والنكته فى تعيين السادس من يوليو، لأنه "الربيع" وفيه يكتر "الحب".

(٣) يريد أن مناقشاتك متصلة بعض الشيء بالمقتضيات القليلة الصلة بموضوع المناقشة.

(٤) استعارة من التعليم والتلقين، ومعناها "أفهمنى ماذا ترد أن أفعل فى سبيل خدمتك وأنا لا أتردد".

(٥) يريد أن يقول إنه كان مجرد "ميل" فى نفسه قبل الذهاب إلى الحرب، ولكنه حين عاد منها وزلت أفكار القتال ومشاغله، بدأ ينعم النظر فى جمالها، وخاصة أنه كان "يميل" من قبل إليها.

دون بدرو: لن تلبث أنتصبح عاشقا مستهما، تتعب سامعك بأحاديث الحب، وكتب العاشقين^(١)، فإن كنت تحب الحسناء هيرو، فاحرص على حبها، وامض فيه، وسأحمل النبا إليها، وأتحدث إلى أبيها، وستكون لك. أليس هذا هو الغرض الذى مضيت من أجله تحيك نسج القصة الممتعة؟

كلوديو: ما أبدع علاجك للحب؟! إنك لتعرف أحزانه من سماته، وخشية أن يبدو حبي مفاجئاً أكثر مما ينبغي، وددت لن أنى تشفعت له^(٢) بأطول من هذا حديثاً.

دون بدرو: وهل يحتاج الجسر، أن يكون أعرض كثيراً من النهر، إن أجمل المنح ما يفى بالضرورة^(٣)، وكل ما يؤدى الغرض "يجي" وحسبى أن أعلم أنك نضو حب لكى "أجدي" عليك بدوائه^(٤)، إننا سنقضى الليلة فى قصف ومرح وسأنتحل شخصك متتكرًا، وأدعى للحسناء هيرو أننى كلوديو وسأكشف لها عما فى قلبى وأستولى على سمعها بقوة بياني، وقصة حبي، ثم أحمل النبا بعدئذ إلى أبيها. فينتهى الأمر بظفرك بها، هيا بنا ننفذ هذه الفكرة فى الحال.
(يخرجان)

المنظر الثانى

فى إحدى حجرات بيت ليوناتو يدخل ليوناتو فيلتقى بأنطونيو

ليوناتو: ماذا تم يا أخى، وأين ابن أخى، ولدك؟ هل أعد الموسيقى؟

أنطونيو: إنه منهمك فى إعدادها، ولكنسى سأقص عليك الساعة يا بن أمى أبناء عجيبة لم تحلم بمثها.

ليوناتو: أهى أبناء سارة؟

(١) اعتاد شكسبير أن يقرن الحب بالكتب فى أكثر من رواية.

(٢) فى الأصل أضأته أو فسرتة أو طليته بطلاء يزيده رواء.

(٣) استعارة من القناطر والقنوات، والمعنى لا يحتاج الأمر إلى بيان كثير، وقد بنى على هذا المعنى العبارة التالية التى لا تبدو واضحة ولكن المراد بها أن ليس للإنسان فى تلبية رجاء يتقدم به إلى آخر من عذر أوجه من الضرورة التى تقضى بوجوب تلبيةه والمعنى لا ضرورة لزيادة الشرح لأن الموضوع ظاهر.

(٤) كل ما يؤدى الغرض "يجدي" ولكى "أجدي" عليك بدوائه. مقابلة للتقرب بين الطباق فى الأصل.

أنطونييو: كما يوحى "طابع" أحداثها (١)، ولكن لها مظهرًا حسنًا، وغطاءً جميلاً، فقد استرق أحد رجالى السمع على الأمير والكونت كلوديو وهما يمشيان خلال دغلة كثيفة فى بستانى، فسمع الأمير يفضى إلى كلوديو أنه يحب كريمتك ابنة أخى، وأن فى نيته أن يعلن ذلك الليلة فى المرقص، فإن وجدها موافقة أمسك بالفرصة من شعرها (٢) فكاشفك فى الحال بالنبأ.

ليوناتو: هل أوتى الرجل الذى نبأك بهذا مسكة من الفطنة؟

أنطونييو: إنه الذكى الفطن. سأبعث فى طلبه لتسأله بنفسك.

ليوناتو: كلا. كلا. دعنا نعد ذلك حلمًا حتى يتحقق. ولكنى سأقصه على ابنتى حتى تستعد للجواب إن صح. اذهب أنت فنبئها (يدخل الأتباع) يا أبناء العم (٣) أحسبكم تعرفون ما عليكم آه أتوسل إليك يا صديقى أن تذهب إليها، وسأبقى أنا لأستعين بخبرتك، وأنت يا ابن أخى الكريم، أرجو بذل الهمة. (يخرجون)

(١) استخدم شكسبير كلمة "طابع" هنا والمعنى أن أهمية النبأ تقاس بجوه، أو مخبر ولكن مظهر، على كل حال حسن.

(٢) استعارة، وقد اعتادها شكسبير فى كثير من رواياته، وقد رأيناها أحيانًا يقول "يمسك بالفرصة من جدائلها، أو من قرنيها".

(٣) هكذا فى الأصل. والغالب أنهم من ذوى قرباه الفقراء.

المنظر الثالث

فى الحجره ذاتها يدخل دون جون وكونراد

كونراد: يا للعجب (١) يا مولاي. ما بالى أراك حزينا إلى هذا الحد (٢).

دون جون: لا حد للحادث الذى استوجب ذلك، ومن هنا كان حزنى بغير حد.

كونراد: أحرى بك أن تستمع لصوت العقل.

دون جون: وأى خير فى الاستماع له؟

كونراد: إن لم يكن فيه علاج عاجل، ففيه على الأقل تصبر إلى حين.

دون جون: أعجب لك وأنت القائل عن نفسك: إن "رحل" كوكبك (٣). كيف تريد أن

تستخدم أشفيه روحية لعلاج علة مودية! ليس فى إمكانى أن أخفى ما بى،
إنى لأحزن حين ينهض للحزن سبب، فلا أبتسم لمزاح أى إنسان، وأكل إذا
جعت، ولا أنتظر أحداً، إذا وجدت عندى شهوة إلى الطعام. وأنام، حين
يداعب عيني النعاس، فلا أحفل بشئون الناس. وأضحك حين أنشرح. وأبتهج
حين تسر النفس وتتفتح، ولا أجارى إنسانا فى هذره (٤)

كونراد: نعم، ولكن ينبغى أن لا تبدى ذلك كله، حتى يتيسر لك أن تبديه دون أن

يكون عليك فى ذلك حرج لقد رأيناك من عقد قريب واجداً على أخيك، ثم
ألفيناه أخيراً يدخلك فى حظوته، ويشملك بمرضاته، ولست بمستطيع أن
تحتفظ بمكانتك هذه، إلا إذا خلقت أنت الجو الطيب، وأولى بك أن تهىئ
أنت الموسم الذى يوائم حصادك.

(١) هو فى الأصل قسم بالعامية.

(٢) لعب شكسبير بهذه العبارة "إلى هذا الحد" فجعل دون جون يقول لا حد للحادث الذى استوجب حزني، ومن هنا كان حزنى متجاوزاً كل حد.

(٣) رأينا الشاعر يتحدث كثيراً عن "الطوالع" وعلاقة الناس وأمزجتهم ومصايرهم بالكواكب. وكان الأقدمون يعتقدون أن الذين يلتقى مولدهم بزحل يبدون متجهمين مكتئبين سريعى الانفعال.

(٤) أى أنه رجل صريح فى سائر حركاته وتصرفاته.

دون جون: إنى لأوثر أن أكون زهرة برية، فوق سياج أوبابا، على أن أكون وردة جميلة فى حديقته، وانه لأنسب لمزاجى أن أكون عند الناس موضع ازدراء، من أن أغير طبعى لأستلب من أحد حبا، أو أنال منه المودة غصبا، وإذا لم أوصف لهذا لسبب بأنى رجل غير متملق، فإن أحداً لا ينكر على أننى أخو شر صريح، لقد وثقوا بى بعد أن عقدوا لسانى، وأطلقونى بعد أن وضعوا النير حول رقبتى، ولهذا قررت أن لا أغنى وأنا حبيس فى قفصى، ولو كان فى طليقا لعضضت، ولو أعطيت حريتى لفعلت وفق مشيئتى أما والأمر ليس كذلك، فدعنى كما أنا، ولا تلتمس لى تغييراً ولا تبديلاً.

كونردا: ألا تستطيع استخدام شىء من سخطك وضعينتك؟

دون جون: كل الاستخدام، إذ ليس لى سواهما.. ترى من هذا القادم..؟

(يدخل بوراشيو)

دون جون: ما ورائك يا بوراشيو؟

بوراشيو: إننى قادم من عشاء عظيم: أقامه ليوناتو احتفالاً بالأمير أخيك؛ وفى وسعى أن أحدثك عن زواج معتزم.

دون جون: هل يصلح أساساً تبنى من فوقه شراً، ومن هو هذا الأحمق الذى يريد أن يبنى بمحنة؟

بوراشيو: فى الحق إنه مساعد أخيك الأيمن.

دون جون: من؟ كلوديو، أشد الناس رشاقة وأكثرهم تأثقاً؟

بوراشيو: أى نعم هو.

دون جون: إنه امرؤ مليح!^(١) ومن.. وإليه من تراه يتجه؟

بوراشيو: إلى هيرو ابنة ليوناتو ووريثته ما فى ذلك شك.

دون جون: إنها لفتاة نضجت قبل الأوان، ومن أين عرفت هذا؟

بوراشيو: عهدوا إلى بحرق البخور فى الحجرات وتعطيرها، وفيما كنت أعطر غرفة زهمة، إذ جاء الأمير وكلوديو يسيران يداً فى يد وهما فى حديث جدى،

(١) وصف ساخر وتهكم.

فاختبأت من فوري خلف الستار وتصنت عليهما، فسمعتهما يتفقان على أن يتقدم الأمير إلى هيرو فيخطبها لنفسه، فإذا ظفر برضاها أسلمها إلى الكونت كلوديو.

دون جون:

هلموا بنا، هلموا إلى هناك. فقد يصلح هذا غذاء لسخطي، إن هذا الفتى المحدث النعمة هو الذي ارتفع على أنقاضى، ولو استطعت أن أحول دون غرضه بأى سبيل، لعددت نفسى السعيد من كل ناحية. كلاكما رجل موثوق به، وسوف تساعدانى، أليس كذلك؟

كونراد:

حتى الموت يامولاي.

دون جون:

هلموا بنا إلى مأدبة العشاء الكبرى، إن بهجتهم لتغدو أبلغ وأكبر إذا رأونى مستسلماً مستكيناً، لبيت الطاهى كان من رأىى، أنذهب لنحاول ما نستطيع فعله؟

بوراشيو:

إننا فى خدمتك يا مولاي.

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الأول

قاعة فى دار ليوناتو

يدخل ليوناتو وأنطونيو وهيرو وبياتريس وآخرون

ليوناتو: ألم يحضر الكونت جون العشاء هنا؟

أنطونيو: لم أراه.

بياتريس: لشد ما يلوح هذا السيد نكدًا مكتئبًا، ما رأيته مرة إلا أحسست حرقه قلب ساعة بعد رؤيته (١).

هيرو: إنه ذو مزاج سوداوى.

بياتريس: ما أبدع الرجل الذى هو وسط بينه وبين بنيدىك (٢): أحدهما أشبه بصنم لا يتكلم، والآخر أشبه شىء بالابن الأكبر المدلل لا يكف عن الثثرة.

ليوناتو: ليت نصف لسان السنيور بنيدىك فى فم الكونت جون. ونصف كآبة الكونت جون فى وجه السنيور بنيدىك.

بياتريس: إن رجلاً كهذا يا عماء، إذ جمع إلى ما وصفت ساقا طيبة، وقدمًا حسنة، ومالا فى كيسه كافيًا، لظافر بأية امرأة فى العالم، إذا استطاع كسب مرضاتها.

ليوناتو: يمين الحق يا ابنة الأخ، لن تصيبي على الدهر كله زوجًا إذا ظل لسانك على هذا النحو سليطاً.

أنطونيو: فى الحق إنها ذات لسان مفرط فى سلطته.

بياتريس: المفرط فى سلطته معناه أكثر من سليط، وحاشا أن أغض من عطية الله من هذه الناحية، فقد قيل إن الله يعطى البقرة الشكسة قرنين قصيرين، ولكنه لا يهب الشكسة أكثر مما ينبغى شيئًا من القرون (١)

(١) تعنى الحرقة التى يشعر المرء بها عقب تناول طعام حريف، إشارة إلى حموضة مزج.

(٢) أى لو أن الرجلين مزجا لكان من مزجهما رجل بديع، وفى الأصل عن الابن قوله "الابن الأكبر لسيدتي" وهو تعبير لا يقصد به سيدة معينة ولكن المراد منه هو أن الأبناء الذى سوف يرث أبويه، كما هو الشأن فى قانون الوراثة عند الإنجليز، ومن ثم يعد المدلل فى الأسرة فلا يكف عادة عن الكلام.

ليوناتو: ومعنى هذا أن الله لن يعطيك قرونا ما دمت سليطة أكثر مما ينبغي.

بياتريس: هذا يصدق كل الصدق، إذا هو لم يهبني زوجًا، وهي نعمة أشرها له وأصل
ليه من أجلها كل صباح ومساء، رباه إنني، لا طاقة لي بزواج ذى لحية،
وأوثر الرقاد بين الأغطية الصوفية من غير ملاءات^(٢)

ليوناتو: قد تقعين على زوج لا لحية له.

بياتريس: ماذا أصنع به؟ ألبسه ثوبى وأتخذة وصيفة لي؟ فأما من أوتى لحية فهو أكثر
من شاب، وأما من لا لحية له فهو أقل من رجل، ومن هو أكثر من شاب لا
يصلح لمتلي، ومن هو أقل من رجل لا أصلح أنا له، فالخير لي إذن أن آخذ
دراهم معدودات من القراد وأستاق قردته إلى الجحيم.

ليوناتو: وهل تدخلين عندئذ الجحيم؟

بياتريس: كلا... بل أسير بها إلى الباب فيلتقى إبليس بى لديه، ديوثا شيخا ذا قرنين،
فيقول لي: "أذهبى بياتريس إلى الجنة، لا مكان هنا للأبكار"، وعندئذ أسلمه
قرودى^(٣)، وأنطلق إلى القديس بطرس فى الجنة فيرىنى المكان الذى يقيم
فيه العزاب، فنعيش هناك ونمرح ما طال النهار.

أنطونيو: (مخاطبا هيرو) يقينى أنك ستطاوعين أباك وترضين بولايته.

بياتريس: أجل والله، إن واجب ابنة عمى أن تتحنى لأبيها أدبا وتقول: "أبت، افعل ما
تشاء"، ولكن ليكن فتى وسيمًا، وإلا انحنت لأبيها انحناءة أخرى وهى تقول:
"أبت، أفعل ما أشاء".

(١) مثل قديم لعله مثل لاتينى ومعناه أن الله يهب قرونا قصيرة للثور الشرس، أى إن الغضاب من الناس لا يستطيعون الإيذاء الذى يظن أنهم القادرون عليه.

(٢) أى تضل عند النوم الغطاء المؤلف كناية يرمى بها إلى الشعر الذى تجتمع منه لحية الرجل، ولكنها أيضًا لا ترضى بزواج غير ملتج، ولها فى ذلك تعليلٌ لطيفٌ كما سيرد.

(٣) فى الأصل "بجد" أى فعلاً، وهو العرون على قبول العمل وقلنا المتقل بالقردة تجاوزًا، لأنه فى النص صاحب الدببة الذى ينتقل فى المولد والمهرجانات لحملها على الرقص أمام المشاهدين، وأكبر الظن أن استيقاق القرده إلى الجحيم، جزء من مثل قديم يشير إلى فكرة شائعة وهى أن النساء اللاتى يأتين الزواج مقضى عليهن بعد الموت بالطواف بها حول جهنم وقد وردت هذه العبارة فى رواية أخرى لشكسبير، ولكن لا يدرى أحد سر تحديد هذه العقوبة لهن.

ليوناتو: أرجو يا ابنة الأخ أن أراك يوماً ذات زوج.

بياتريس: حاشا.. حتى يخلق الله الرجال من عنصر آخر غير "التراب". ألا يحزن المرأة أن تسيطر عليها قطعة من حمأ مسنون؟ أليس أليماً لها أن تقدم حساباً عن حياتها إلى قبضة من تراب جاف؟ كلا يا عماه، لن يكون لى بعل، إن أولاد آدم إخوتى، وفي الحق إننى لأعد الزواج من ذوى قرابتي إثماً^(١)

ليوناتو: تذكرى يا ابنتى ما قلته لك، إذا فاتحك الأمير فى هذا الأمر^(٢) فأنت تعرفين الجواب.

بياتريس: سيكون الذنب يا ابنة العم ذنب الموسيقى إذا لم تخطبى فى الحين المناسب. فإن رأيت الأمير ملحفا ملحا فقولى له: إن الاعتدال مطلوب فى كل شىء، وانطلقى بالجواب خطرانا ورقصا، واعلمى يا هيرو أن الغزل ثم القران، ثم الندامة، أشبه برقصات ثلاث، وهى الرقصة الاسكتلندية السريعة الدوامة، والرقصة المتتدة المتزنة، والخطوات الخمس^(٣) فأما الأولى وهى "الخطبة" فحارة عجلى كالرقصة الاسكتلندية وأما خطوة القران فمعتدلة كالرقصة الثانية وإن حفلت بكل ما شئت من فخفة، وحشمة وحفاظ قديم، ثم تأتى خطوة الندامة فتتخاذل فيها من الرجل الساقان، وتمضيان إلى الرقصة الثالثة وشيكا وتتحولان، حتى يتردى الرجل فى قبره.

ليوناتو: إنك لعليمة بفنون الرقص خبيرة يا ابنة العم!

بياتريس: إن لى عينا حديدية يا عماه، وأستطيع أن أبصر كنيسة على ضياء النهار^(٤)

ليوناتو: المدعوون يا أخى قادمون، فافسحوا لهم.

(١) تعليق جميل لكراهيتها الرجال وعدم رغبتها عن الزواج، فقد بدأت بالسخرية وعللت كراهيتها بالكبرياء، لأن الرجل مخلوق من تراب، ثم انتهت متلطفة فقال إنهم إخوتها من آدم، ومن الإثم أن تتزوج الأخت أخاها.

(٢) أى الخطبة والقران فى الأصل "مهما" ولكن الصحيح هو ما ذكرنا للتشابه فى الإنجليزية بين مهم وملحاح.

(٣) استعارة من الرقص. وقد أجاد شكسبير وصف الأدوار الثلاثة والخطوات الخمس رقصة الرقم ٥ وهى تسمى بالفرنسية "سانك پا" وكذلك وردت فى النص.

(٤) هكذا فى الأصل، ولكن المراد أنها تستطيع الذهاب إلى الكنيسة ليعقد فيها قرانها أى إنها مدركة ماذا وراء الزواج وجملته متاعبه.

(يضع الجميع أفئعتهم على وجوههم)

(يدخل دون بدرو . وكلوديو . وبنيديك . وبلتازار . ودون جون . وبوراشيو .
ومرجريت . وأرسولا . وغيرهم والجميع مقنعون)

دون بدرو: أيتها السيدة هل تسمحين بأن تخطرى مع صديق لك؟

هيرو: بشرط أن تخطر برفق، وتنتظر بلطف، ولا تقول شيئاً، إننى لك سيرا وخطرانا،
وخاصة حين أنسحب.

دون بدرو: وأنا فى صحبتك؟

هيرو: قد أقول ذلك، حين يروقنى.

دون بدرو: ومتى يروقك أن تقوليهِ؟

هيرو: حين يرضينى وجهك، ويعجبنى محياك وأرجو الله أن لا يكون المزهر
كغطائه (١)

دون بدرو: إن قناعى هو سقف فيلمون فى بيت زفس.

هيرو: أولى به إذن أن يكون من قش (٢)

دون بدرو: اغضى من صوتك، إذا شئت الكلام فى الحب

(ينتحى بها جانباً)

بلتازار: (وهو يراقص مرجريت) أود لو أنك تميلين إلي.

مرجريت: لا أود أن أفعل. وهذا من أجل مصلحتك لأن لى عيوباً كثيرة.

بلتازار: وما هو أولها؟

مرجريت: إننى أجهر بصلاتى

(١) أى إن القناع الذى تقنعت به قبيح ولا مسحة عليه من جمال، وأعوذ بالله إن كان الوجه الذى يخفيه قبيحاً
مثله، والمزهر كمفعل هو القثيار.

(٢) يشير شكسبير هنا إلى قصة "فيلمون" فى الأساطير اليونانية القديمة فقد كان فيلمون زوجاً ليتوسيس ولما
زر زنس وهرمس مدينة "برجيا" التى ينتمى فيلمون إليها متكرين فى زى البشر لم يقبل أحد إكرام مثناهما إلا
فيلمون وامرأته فقد استضافاهما فى كوخ حقير ذى سقف معروض فجزهما زنس أحسن الجزء وعاقب أهل
برجيسيا بسبل عرم. وحقق الأمانة الوحيدة التى كانت لهما وهى أن يموتا معا فى لحظة واحدة.

- بنتازار: هذا ما يزيدنى لك حبا... فقد يصبح السامعون آمين.
- مرجريت: اللهم هبنى راقصاً بارعاً.
- بنتازار: آمين.
- مرجريت: والله أبعد من عيني إذا انتهى الرقص.. أجب يا كاتب (١)
- بنتازار: لا كلام عندي.. لقد تلقى الكاتب الجواب.
- أورسولا: (لأنطونيو وهى تراقصه) أعرفك حق المعرفة، فأنت السنيور أنطونيو.
- أنطونيو: تقى أنى لست هو.
- أورسولا: أعرفك بهزة رأسك.
- أنطونيو: إن شئت الحق قلت إننى أقلده.
- أورسولا: ما كان فى وسعك أن تجيد تقليد معاييه إلى هذا الحد لو لم تكنه حقاً. ها هى ذى يده الخشنة تعلو وتهبط أنت هو... أنت هو.
- أنطونيو: تقى أنى لست هو.
- أورسولا: أقبل! أقبل! أتحسبني لا أعرفك من حدة ذكائك وفائق فطنتك، وهل فى وسع الفضيلة أن تخفى نفسها، هيا قل إنك هو. الفضل ظاهر، فلا مجال لقول قائل.
- بياتريس: (وهى تراقص بنيديك) ألا تريد أن تتبئنى من قال لك ذلك؟
- بنيديك: كلا، ومغفرة.
- بياتريس: أولاً تتبئنى من أنت؟
- بنيديك: لن أنبئك بذلك الآن.
- بياتريس: إن الذى قال عنى إننى متكبرة متعجرفة وأن نكاتى البارعة مأخوذة من "المائة نادرة" هو السنيور بنيديك (٢)

(١) هو فى الكنيسة الموكل بالفناديل أو "القندلفت" وإشارة هنا عند انتهاء كل صلاة أن يقول آمين.

(٢) هو كتاب "نكت" قديم طبع فى سنة ١٥٢٦ وكل النكات فيه "سقيمة" وقد وصف بنيديك أمازيح بياتريس هذا الوصف وهو يريد به أن نكاتهما كذلك وأنها محفوظات لا نكات تأتى على البديهية، والكتاب يحوى مائة قصة

- بنيديك:** ومن يكون؟
- بياتريس:** إننى على يقين من أنك تعرفه جد المعرفة.
- بنيديك:** لست أعرفه.. صدقيني.
- بياتريس:** ألم يثر يوماً فى نفسك الضحك؟
- بنيديك:** أناشذك من هو؟
- بياتريس:** كيف هذا؟ إنه مهذار الأمير^(١)، وهو مضحكة، سمج، كل موهبته اختراع فريات ووشايات لا تجوز على عاقل، ولا يستروح إليها غير الفتيان المستهترين، لا يرضيهم منه ذكاؤه وإنما يثيرهم خبثه، فهو يرضى الناس ويغضبهم، فيضحكون منه ثم يضربونه، وأنا واثقة أنه بين الحاضرين، وددت لو أنه تعرض لي.
- بنيديك:** سأقول له كل هذا حين أعرفه.
- بياتريس:** أرجوك أن تفعل. وسوف ينالني بنكتة أو نكتتين وقد لا ينتبه أحد إليها، ولا يجد من يضحك لها، ففتتابه الكآبة، ويصيبه الغم، وفى ذلك اقتصاد جناح بطة^(٢) لأن هذا المغفل لن يأكل الليلة. (تعزف الموسيقى) دعنا نتبع الراقصين الأولين.
- بنيديك:** فى كل شىء حسن.
- بياتريس:** أجل، وإذا ساقانا إلى شين تركتهما عند أول منعطف.
- (رقص، ثم ينصرف الجميع عدا دون جون وبوراشيو وكلوديو)
- دون جون:** لا شك عندى فى أن أخی مستهام بهيرو وقد انتحى بأبيها ناحية ليتحدث إليها عنها، وقد رأيت السيدات يتبعنها، ولم يبق غير وجه واحد ملثم.

أو نادرة؛ ولعله ترجمة كتاب "ديكاميرون" الذى وضعه بوكاشيو الإيطالى وكان قد نقل إلى الإنجليزية فى عهد شكسبير.

(١) كان لى كل أمير "مهذار" أو مهرج فى خدمته، وقد كتبت مارى لأم أخت تشارلس لام فى كتابهما "قصص من شكسبير" تقول إن هذه الكلمة كانت أعمق أثرا فى نفس بنيديك من سائر نكات بياتريس وسخراتها، وقد اعترف بنيديك بذلك فى مناجاته لنفسه كما سيرد بعد.

(٢) أى سيوفر شيئا من الطعام لأنه سيتألم فلا يقبل عليه.

- بوراشيو: وهو وجه كلوديو، إننى أعرفه من سمنه.
- دون جون: ألسنت السنيور بنيديك؟
- كلوديو: أنت تعرفنى حق المعرفة. أنا هو.
- دون جون: أنت يا سنيور صاحب سر أختى^(١) فى حبه، إنه بهيرو مغرم كلف، أناشذك أن تتشبه عن حبها لأنها لا تساويه مولدًا، ولو قد فعلت، لأدبت إليه ما يؤديه الناصح الأمين.
- كلوديو: من أين عرفت أنه يحبها؟
- دون جون: لقد سمعته يقسم أنه يحبها.
- بوراشيو: وأنا كذلك، وقد حلف أنه سيتزوج بها الليلة.
- دون جون: هلم بنا إلى المأدبة
- (يخرج دون جون وبوراشيو)
- كلوديو: (مناجيا نفسه) هكذا أحببت باسم بنيديك، وإن سمعت نبأ سوء بأذنى كلوديو. إن الأمر مؤكد فإن الأمير يخطبها لنفسه. إن الصداقة فى كل شىء وفيه وموضع ثقة إلا فى خدمة الحب. وشئونه، ولهذا السبب ينبغى للقلوب المحبة أن لا تستخدم سوى السننها ولتفاوض كل عين عن ذاتها، ولا تثق بأحد يتولى المفاوضة عنها. لأن الجمال ساحر، لا يلبث الوفاء حيال فتونه أن يستحيل هياما. وأن هذا الحادث ينهض الدليل فى كل ساعة على صحته، ولكنى لم أفطن إليه، ولهذا وداعًا يا هيرو.. إنى عنك لمنصرف.
- (يدخل بنيديك)
- بنيديك: الكونت كلوديو؟
- كلوديو: نعم. ها أنذا.
- بنيديك: هلم.... ألا تأتى معى؟
- كلوديو: على أين؟

(١) من هيئته أو حركاته أو مظهره. فى الأصل أنك قريب جدًا منه فى حبه ولكن المعنى المراد هو أنه يعرف كل شىء عن هذا الحب، وأن أخاه يثق به ويتحدث إليه عنه.

بنيديك: إلى أقرب صفصافة ^(١) يا كونت، فهناك المكان الذى يليق بك، قل لى فى أى شكل تريد أن تضع إكلييك ^(٢)؟، أحول عنقك كسلسلة المرابى ^(٣)؟ أم حول ذراعك كشارة الضابط ^(٤)؟. واحدة من اثنتين. لأن الأمير قد بهير والتى فتنتك.

كلوديو: ليفرح بها.

بنيديك: ما هذا! إنك لتتكلم بلهجة بائع الماشية الأمين فى سوق العجول، ولكن هل كنت تظن الأمير فاعلا بك هذا؟

كلوديو: إليك عنى.... أرجوك.

بنيديك: وي.. إنك الآن تتخبط كالأعمى اصطدم بالعمود. إن الغلام هو الذى سرق لحمك، ولكنك تصطدم بالعمود ^(٥).

كلوديو: إذا لم تتصرف عنى انصرفت عنك. (ينصرف)

بنيديك: (لنفسه) وا أسفاه.. أيتها الدجاجة الجريح المسكينة.. إنها الساعة متسللة إلى العبث الملتف تخفى جرحها.. ولكن سواء عرفتتى السيدة بياتريس أو لم تعرفنى، مهذار الأمير ^(٦).. ها.. ها.. لعلى حملت هذا اللقب لأنى أخو فكاهاة مرح. نعم، غير أنى بذلك أسىء إلى نفسى. ولكنى لم أشتهر بهذا،

(١) الصفصافة: رمز الحب البائس.

(٢) أى أدبل من الصفصاف.

(٣) كانت عادة كبار الناس والتجار وهم يومئذ المرابون أن يلبسوا سلاسل من الذهب، كما يفعل اليوم فى بريطانيا أصحاب المناصب فى الحفلات الرسمية.

(٤) كالوشاح يلبس فوق إحدى الكتفين وتحت الذراع المقابلة، والمعنى هل أنت معتزم أن تفعل كاليهود والمرابين فى هذه المسألة فتطالب الأمير بتعويض عن خسارتك أو فى نيتك أنتكون جنديا فتطلب إليه المبارزة، غضبة لكرامتك؟

(٥) حكاية كانت معروفة فى ذلك الحين عن رجل أعمى سرق غلام لحماً له وحاول الفرار به، فجعل الأعمى يعدو وراءه فيصطدم بعمود فى طريقه وهو لا يشعر.

(٦) فى مناجاته لنفسه يردد كلمة قالتها له بياتريس وهى أنه مهذار الأمير وقد جرحته هذه الكلمة وتألم لها أشد الألم كما يبدو هنا، ولكنه عاد يسرى عن نفسه بأن أحدا لم يقل هذا عنه وإنما هى من فرط غرورها وضعت العالم كله فى شخصها وربته بهذه الكنية.

وإنما هي نزعة بياتريس السافلة، وفطرتها المريرة التي جعلتها تضع العالم كله في شخصها، وتصفني بهذا الوصف، ولكني سأنتقم منها إذا وجدت إلى الانتقام سبيلاً.

(يدخل دون بدرو)

دون بدرو: والآن يا سنيور أين الكونت؟ ألم تره؟

بنيديك: يمين الحق يا مولاي.. لقد مثلت دور السيدة "شائعة" ^(١)؛ فقد وجدته هنا ساهما كنيا ككوخ الحارس الموكل بأرض صيد ^(٢) فأنبأته، وأحسبني أنبأته الحق، إن مولاي ظفر برضى هذه الغانية الشابة، وعرضت عليه أن يصحبنى إلى شجرة صفصاف، لأصنع له إكليلا من ورقه شأن الفاشل في حبه، أو لأعد له منها عصا لأنه استوجب الضرب.

دون بدرو: الضرب؟ وما الذنب الذي أتاه؟

بنيديك: ذنب تلميذ تناهى به الفرح بالعثور على عش عسافير فأراه لصاحبه فسرقه هذا صاحب.

دون بدرو: هل تعد الثقة ذنبا؟ إن الذنب ذنب السارق.

بنيديك: ولكن هذا هو الذى جرى. العصا أعدت، والإكلييل عقد، ولم يكن هذا عبثا. فأما الإكلييل فقد كان من الجائز أن يلبسه هو، وأما العصا فلعله منعم بها عليك، لأنك كما فهمت منه سرقت عش عسافيره.

دون بدرو: سأعلمها الشدو ثم أردّها إلى صاحبها.

بنيديك: يميناً لقد قلت حقاً إن تحقق ما تقول.

دون بدرو: إن السيدة بياتريس منك غضبى؛ فإن السيد الذى راقصها نبأها أنك أخطأت كثيراً فى حقها.

(١) أراد شكسبير بهذا أن يجعل "الإشاعة" سيدة فدعاها "السيدة" "إشاعة" من قبيل إطلاق العاقل على غير العاقل، والمعنى أنه يمثل دورها وأنه سيحكى لدون بدرو ما جرى بينه وبين كلوديو والمسلك الذى سلكه هذا حين سمع النبأ منه.

(٢) فى مزرعة أرانب يقوم كوخ صغير للحارس، وهو بطبيعة الحال منعزل بعيد من الناس قائم.

بنيديك:

لقد أساءت إلى إساءة لا يحتملها الصخر، ولو أن سرورة لم يبق عليها غير ورقة خضراء لما أطاقت السكوت عليها. إن قناعى نفسه لم يلبث أن دبت فيه الحياة فرد عليها وكال لها بكيلها. لقد قالت لى، وهى لا تظن أننى أنا مراقصها: "إننى مهذار الأمير" وإننى أبرد من لوح تلج، ومضت ترمينى بنكتة إثر نكتة ببراعة لا يتصورها العقل، حتى لقد لبثت أمامها كأننى هدف لرمية جيش بأكمله. إن كلماتها كالخناجر وكل لفظة منها طعنة سنان، ولو كانت أنفاسها فى مثل بشاعة كلماتها، لما توانت الحياة لأحد بقربها، بل لأصابت نجم القطب الشمالى بعدواها. ولست أرضى بالزواج بها حتى ولو أتيح لها كل ما أنعم به على آدم قبل الخطيئة^(١). ولو أن هرقل منى بها لجعلته يقلب على الجمر سفودا، بل لكسر عصاه ليجعل منها وقودا^(٢). دعنا من الحديث عنها، فإنك لوأجدها ربة الجحيم "آنى" القديمة^(٣) فى زى حسن، وليت الله يقيض لنا عالما يبطل سحرها، ويطرد عنا شرها^(٤)، وما دامت هنا بيننا، فليس من شك فى أن المرء ليحيا فى الجحيم هادئا راضيا كأنه فى الحنة، ويرتكب الناس الخطيئة عامين، لأنهم يريدون الذهاب إلى جهنم، فالشر والنكر والفوضى كلها تبع لها وحشم.

دون بدرو: حذار . إنها قادمة.

(يدخل كلوديو وبياتريس وهيرو وليوناتو)

(١) أى كل ما أنعم الله به على آدم من سمو ورفعة على جميع مخلوقاته الأخرى.

(٢) إشارة إلى قصة هرقل وأومفال، وهى أن هرقل فى نوبة جنون قتل صاحبه إيفيناس فأصيب بمرض جزء له على جرسه، ولم ينج منه إلا ببيعه عبدا رقيقا ليخدم أوفال ثلاث سنين فلم يلبث أن وقع فى هوى مولاته وليس زى النساء وجعل يغزى الصوف كما يغزى ويعمل عدة أعمال مهينة أخرى، فيشوى الطعام على السفود ويقلبه على الجمر وقد كسر عصاه التى كان معروفا بها فى الصور التى رسمت له حتى تظل النار تحت السفود متأججة.

(٣) ابنة زيوس التى ورد فى الأساطير اليونانية أنها كانت تقود الآلهة الأخرى والرجال إلى القيام بأعمال تنم عن طيش، ثم تسوقهم إلى حتوفهم، وهكذا تجعل الإثم ذاته يضع عقوبته فهى من هذه الوجهة ربة الانتقام. وقول المؤلف "فى شكل جديد" معناه أنها "آنى" الأخرى أو الجديدة التى ظهرت فى شكل حديث. وقد رأينا الشاعر يكثر من إيراد اسمها خلال مختلف رواياته.

(٤) أى كما يفعل السحرة حين يطلقون البخور ويرددون كلمات غير مفهومة لطرد الجن والأرواح الشريرة من أجسام المصابين بها.

بنيديك: ألا تأمرنى يا مولاي بتأدية أية خدمة لك فى أقصى الأرض، أود لو أرسلت فى أتفه مهمة تشير بها فى الجهة المقابلة لهذه القارة، بل إنى لراضٍ أن ألتمس لسامحتك سواكًا من أبعد ركن فى آسيا. أو آتيك بمقياس قدم القس يوحنا ^(١) أو شعرة من لحية الملك تشام ^(٢) أو أتولى أية سفارة لك لدى الأقرام ^(٣)، فذلك عندى خير من التحدث بثلاث كلمات مع هذا العقاب ^(٤). هل من خدمة أودها لك يا مولاي؟

دون بدرو: لا شيء إلا رغبة الاستمتاع بمحضرك.

بنيديك: رباه. يا سيدى. هذا طعام لا أسيغه، لأننى لا أطيق ذات اللسان ^(٥) (يخرج)

دون بدرو: هلمى يا سيدتى. هلمى. لقد خسرت قلب السنيور بنيديك.

بياتريس: لقد أعارنيه يامولاي منذ هنيهة. وأديت له الفائدة ^(٦)، قلبين اثنين لقاء قلب واحد، يمينًا لقد أحسنت فى قلوبك يا مولاي إننى خسرت. فقد كسبه مرة من قبل بنرد مزيف ^(٧).

دون بدرو: لقد صرعته يا سيدتى.. لقد صرعته.

بياتريس: ولهذا أود أن لا يفعل هذا بى يا مولاي مخافة أن أعد أم الحمقى.. لقد جنّت بالكونت كلوديو الذى أوفدتنى للبحث عنه ^(٨).

(١) برستر جون الذى ورد فى الأساطير أنه ملك الهند أو أثيوبيا وقد سمي قسا لأنه آثر أن يدعى كذلك ويتخلى عن لقب الملك وأقسم أن يتسمى بأول قس يلقاه وكان هذا يدعى "جون" فانتحله.

(٢) اسم ملك المغول واشتهر بلحيته فقيل لحية تيمور شام.

(٣) قوم قيل فى الأساطير إنهم قصار القامات يعيشون فى الهند وجاء ذكرهم فى شعر هومر وقال إنهم يعيشون على السواحل "أوشيانا" أى أوقيانوس.

(٤) العقاب من جوارح الطير. ومن فصيلة النسور. ولكنه فى الأساطير يوصف بطائر كاسر له وجه امرأة.

(٥) ذات اللسان أى "السليطة" وفى الأصل "السيدة لسان".

(٦) الفائدة مقابل تسليم قلبه بإعطائه قلبها.

(٧) تشير هذه العبارات، على الأرجح، إلى واقعة غرام قديمة بينهما كاد بنيديك يخذع بياتريس كما يؤخذ من قولها إنه كسب مرة بنرد مزيف ولكن لا يبدو شيء من هذه الواقعة فى المسرحية.

(٨) لم يرد من قبل شيء يوحي بأن دون بدرو طلب إليها البحث عن كلوديو.

- دون بدرو:** كيف أنت يا كونت. وما بالى أراك حزينا؟
- كلوديا:** لست حزينا يا مولاي!
- دون بدرو:** ما بالك إذن.. أمرىض؟
- كلوديو:** لا هذا ولا ذاك يا مولاي.
- بياتريس:** ليس الكونت بمحزن، ولا هو بمريض، ولا هو بمبتهج، ولا هو بموفور العافية، ولكنه حمض قليلاً كالبرتقالة الاشبيلية^(١). وبه شىء من أعراض الغيرة وسماتها.
- دون بدرو:** يميناً أيتها السيدة إنى لأحسب إشارتك هذه صادقة. وإن كنت أقسم أنه واهم فى تقديره إن كان كذلك. اسمع يا كلوديو لقد خطبت باسمك، وفزت لك بالحسنا هيرو؛ وأفضيت بالنبأ إلى أبيها وظفرت برضاه. فعين يوم القران وأدعو الله لك بالهناء.
- ليوناتو:** خذ يا كونت منى ابنتى، ومعها ثروتى، فإن قداسته خطب، والله جل جلاله أمن على خطبته.
- بياتريس:** تكلم يا كونت، فهذه فرصتك^(٢)
- كلوديو:** الصمت أكمل بشائر الفرح، ولو وصفت مقدار سعادتى، لأنقصت منها، سيدتى، أما وأنت لى، فأنا لك، إنى لك واهب نفسى، ومغتبط بهذا التبادل.
- بياتريس:** تكلمى يا ابنة العم، وإن لم تقدرى، فأغلقى بقبلة فمه ولا تدعيه هو الآخر يتكلم.
- دون بدرو:** يميناً أيتها السيدة لقد أوتيت قلباً مرحاً.
- بياتريس:** أجل. يا مولاي، وإنى لهذا القلب الأحمق لشاكرة، لأنه يأبى إلا أن يبقى أبداً فى مامن من الهم، إن ابنة العم تقول له فى أذنه إنه يسكن فى قلبها.

(١) حمض . من الحموضة. ومن هنا وصفته "بالبرتقالة" والمولح فى الشام تدعى "الحمضيات" وقد أضفنا نحن إلى البرتقالة قولنا "الأشبيلية" لأن اللفظة Cirl معناها بين الحلاوة والحموضة وكانوا فى عهد شكسبير ينطقون لفظة Siville أى مدينة "أشبيلية" الأسبانية كأنها لفظة سيفيل.

(٢) أو المفتاح . إشارة إلى أن الباب قد فتح ليتكلم ويعلن ما فى نفسه، ولكنه أجاب بقوله إن الصمت أكمل بشائر الفرح كما ترى.

- كلوديو: وإنها لتسكن قلبي يا ابنة العم.
- بياتريس: رب. ألا من زوج! ^(١) أفكل إنسان يدخل الدنيا ما خلاى... لقد لوحنتى الشمس ^(٢) فليس لى إلا أن أجلس فى ركن أغنى واهأ. ألا من زوج ^(٣)
- دون بدرو: يا سيدتى بياتريس إن لك عندى زوجًا.
- بياتريس: إنى لأوثر أن يكون من ذرية أبىك، أليس لقداستك أخ على غرارك، لقد أنجب أبوك أحسن الأزواج، لو أتيج لفتاة الظفر بأحدهم.
- دون بدرو: هل ترتضىنى يا سيدتى؟
- بياتريس: كلا يا مولأى ما لم يكن لى بعل آخر لأيام العمل ^(٤)، لأن قداستك أغلى من أن تلبس فى كل يوم، ولكننى أستميحك مغفرة فقد ولدت هكذا، أقول هزلا، ولا أقول شيئًا ذا معنى.
- دون بدرو: إن أشد ما يؤلمنى أن لا تتكلمى، فإن المرح أليق شىء بك، فأنت بلا نزاع مولودة فى ساعة سعد
- بياتريس: كلا بلا ريب يا مولأى فقد كانت أمى تبكى، ولكن كان هناك نجم فى السماء يرقص، ومن تحته جاء مولدى، يا بنى العم، متعكم الله بالسرور.
- ليوناتو: يا ابنة الأخ، هلا عنيت بالأشياء التى قلت لك عنها ^(٥).
- بياتريس: أستاذك يا عمى، مولأى عن إذتك.
- (تخرج)
- دون بدرو: يمين الحق أنها لسيدة خفيفة الروح.

(١) الكلمة فى الأصل "مخالفة" ولكن المعنى كما يبدو وصلة من طريق الزواج أو نسب ومصاهرة.

(٢) المعنى الذى ترمى بياتريس إليه هو أنها قبيحة.

(٣) مطلع أغنية قديمة تدور حول لهفة البنات على الأزواج.

(٤) أى أنت للزينة فقط أيام الأحد، وغيرك للسنة الأيام الباقية من الأسبوع.

(٥) أراد عمها إخراجها ليخلو له الحديث مع دون بدرو.

ليوناتو: ليس فيها يا مولاي غير قليل من العنصر السوداء^(١) فهي لا تكتئب إلا في المنام، ولا أحسبها حتى فيه بمكتئبة فقد سمعت ابنتي تقول: إنها كثيراً ما حلمت بالبؤس، ثم اسيقظت ضاحكة.

دون بدرو: إنها لا تطيق أن تسمع أحداً يتحدث إليها عن الزواج.

ليوناتو: بلى.. إنها لتستهزئ بكل خطابها وتردهم بذلك عن خطبتها.

دون بدرو: لو تزوجت بنيديك لكانت خير الزوجات!

ليوناتو: سبحان الله يا مولاي.. لو لبثنا زوجين أسبوعاً وأحداً لأدى بهما الحديث إلى الجنون.

دون بدرو: متى تنتوي يا كونت كلوديا الذهاب إلى الكنيسة؟

كلوديو: غدا يا مولاي. إن الزمن يمشى على عكاز، حتى يستكمل الحب مراسمه.

ليوناتو: لن يتم هذا قبل يوم الاثنين يا بنى العزيز، أى بعد أسبوع، وهى فترة وجيزة لإتمام كل ما فى نفسى تحقيقه.

دون بدرو: لا تهز رأسك هكذا متبرماً بطول الوقت^(٢)، ولكننى أؤكد لك يا كلوديو أن الوقت لن ينقضى علينا ثقيلًا مضجرًا، فسأتولى خلاله إنجاز عمل من الأعمال التى فرضت قديماً على هرقل^(٣) وهو تأليف قلبى السنيور بنيديك والسيدة بياتريس، والوصول بهما إلى ذروة التعاطف والمودة المتبادلة. ويودى لو يتحقق زواجهما ولست أشك فى تحقيقه، إذا تيسير لثلاثتكم تقديم المعونة التى سأوجهكم إليها.

(١) العنصر السوداء هو الماء لأن الأحياء فى هذه الخليقة مركبة من أربعة عناصر وهى الهواء والتراب والنار والماء. وهى مقابلة للأحلاط الأربعة فى الجسم وهى الصفراء والدم والبلغم والسوداء، ومن هنا كان الماء معناه السوداء.

(٢) فى الأصل "بطول النفس" أو الفترة التى يملك فيها المرء أنفاسه ليسترخ.

(٣) وكانت هذه الأعمال اثنى عشر وقد فرضها عليه "أرسيتوس" ونعنى بها [١] قتل الأسد . [٢] قتل الحية المتعددة الرؤوس كلما قطعت لها رأساً نبت لها رأس . [٣] صيد الوعل . [٤] القضاء على الدب . [٥] تنظيف الاسطبلات . [٦] قتل العصافير التى تأكل اللحوم البشرية فى بحيرة سترمفالييس . [٧] القبض على الثور الكرتى . [٨] خيول الملك ديوميديس إلخ. والمعنى أنه عمل شاق كبعض هذه الأعمال التى طلبت من هرقل.

ليوناتو: أنا معك يا مولاي ولو كلفنى ذلك السهر عشر ليال.
كلوديو: وأنا يا مولاي.
دون بدرو: وأنت أيضاً يا هيرو الرقيقة؟
هيرو: سأبذل قصارى جهدى المتواضع، فى معاونة ابنة عمى على الظفر بزواج صالح.
دون بدرو: ليس بنيدىك بأقل الرجال صلاحية للزواج^(١)، وليس الأمل فيه زوجاً أضعف الأمل، وهذا هو كل ما فى وسعى أن أمدحه به. إنه رجل عريق المحتد وأخو شجاعة مشهودة وأمانة مؤكدة، وسأعلمك كيف تغرين ابنة عمك بحب بنيدىك، وأتولى أنا بعونكما الأمر من ناحية بنيدىك نفسه، رغم حاضر بديهته، وسرعة تأثره، حتى يقع فى حب بياتريس، ولو استطعنا ذلك، لما عاد كيوييد بعد اليوم نابلا^(٢) بل سينقل مجده إلينا فنصبح نحن آلهة الحب وحدنا. هلما بنا ندخل لأنبئكم بما عقدت النية عليه.
(يخرجون)

(١) فى الأصل كلمة مركبة نافية معناها أكثر الناس قلة أمل فى أن يكون الزواج صالحاً وهذا ما عبرنا عنه بالاتباع فى العبارة التالية.

(٢) أى سنتولى نحن ذلك وتنتقل شهرته إلينا.

المنظر الثاني

المكان ذاته

يدخل دون دون وبوراشيو

- دون جون: الأمر كما قلت، وسيقترن الكونوت كلوديو بابنة ليوناتو.
- بوراشيو: أجل يا مولاي، ولكنني قادر على أن أحول دونه،
- دون جون: كل حائل، أو عائق، أو عقبة أو مانع، شفاء لما أجده، إني مريض من الموجدة عليه، فكل ما يعوق حبه يرضيني، نبئني كيف تستطيع أن تمنع الزواج؟
- بوراشيو: لا صراحة يا مولاي وجهارًا، بل خفية وسرارًا. بحيث لا يبدو مني غدر، ولا تظهر خيانة.
- دون جون: أرني كيف، وأوجز.
- بوراشيو: أحسبني قد بنأتك يا مولاي منذ عام مضى، عن مدى حظوتي عند مرجريت، وصيفة هيرو.
- دون جون: أذكر ذلك.
- بوراشيو: إنني مستطيع في أية لحظة غير مناسبة ليلاً أن أجعلها تطل من نافذة مخدع مولاتها.
- دون جون: وكيف تستطيع بهذه الفكرة أن تقضى على زواجه؟
- بوراشيو: إن فيها لسما عليك أنت أن تركبه ^(١)، فإذهب إلى الأمير أخيك، وأبلغه أنه قد تلم شرفه، وأساء إلى كرامته بتزويج كلوديا الذائع الذكر، . واحرص كل الحرص على أن تعظم من شأنه . من امرأة دنسة كهيرو.
- دون جون: وأي دليل على هذا أقدمه؟

(١) في الأصل . تخلط أجزاءه بنسب صحيحة كفعل الصيدلي.

بوراشيو: حسبك منه أن تضلل به الأمير، وتغيظ به كلوديو، وتقضى على هيرو، وتقتل ليوناتو، فهل ترتقب شيئاً غير ذلك؟

دون جون: لن أتردد فى أمر ما، إذا كان فيه شفاء موجدتى عليهم.

بوراشيو: اذهب إذن فالتمس لى وقتاً مناسباً، لجر دون بدرو والكونت كلوديو إلى خلوة بك، ونبئهما بأنك تعرف أن هيرو تحبنى، وأظهر الغضب لأجلهما، غيرة منك على شرف أخيك الذى تولى الخطبة، وعلى سمعة صديقه الذى يوشك أن يخدع، فى فتاة تساق إليه كأنها عذراء وما هى بعذراء، وقل لهما إنك كشفت ذلك، ولعلمهما سوف لا يصدقانه بغير دليل، فاضرب لهما أمثلة، واعرض لهما أمثلة، واعرض عليهما بينات وليس منها ما هو أرجح من رؤيتى تحت نافذة مخدعها وسماعك إياى وأنا أنادى مرجريت "هيرو" ومرجريت تتادبنى "كلوديو". واطلب إليهما أن يتحققا من ذلك بنفسيهما فى الليلة التى ستسبق الزفاف، لأننى فى الوقت ذاته سأدبر الأمر، حتى تغيب هيرو عن المخدع فى تلك اللحظة، لكى تتراءى خيانتها كأنها الحقيقة التى لا ريب فيها، ويبدو ما تهيؤه الغيرة كأنه يقين ويفسد كل استعداد تم.

دون جون: إننى لمنفذ ذلك فعلاً مهما يكن له من سىء العواقب، فأحسن بالمكر تدبيره يكن جزاءك عنه ألف دوقية^(١).

بوراشيو: وتمسك أنت بالاتهام ولا تتناقص، وأما أنا فلن يخذلنى مكرى.

دون جون: إنى ذاهب من فورى لأعرف موعد القران.

(يخرجان)

(١) عملة من الذهب أو الفضة تختلف قيمتها وقد أوردتها شكسبير فى عدة روايات له ولم يجعلها شائعة فقط فى إيطاليا التى ضرت أصلاً فيها بل فى الدانمرك أيضاً كما جاء فى "هامتل" "الليلة الثانية عشر" التى وقعت حوادثها فى النمسا، بل فى آسيا الصغرى أيضاً كما فى مسرحية "كوميديا الأخطاء".

المنظر الثالث

فى حديقة بيت ليوناتو

يدخل بنيدىك

بنيدىك: يا غلام! (يدخل غلام)

الغلام: سيدى السنيور؟

بنيدىك: على نافذة غرفتى تجد كتابًا، هاته لى هنا فى الحديقة.

الغلام: أنا هنا الآن يا سيدى.

بنيدىك: أعرف ذلك، ولكنى أريد أن تذهب إلى هناك ثم تعود إلى هنا. (يخرج غلام)

إنى لفى عجب عجب، أن أرى رجلاً بدت له حماقة سواه، وبالغ سخفه، فى الاستسلام للحب، وطالما ضحك ساخرا من حمق الآخرين فيه، كيف يستسلم هو له فيقيم من نفسه الحجة على حماقته، والدليل على استحقاقه لسخريته، ذلكم هو كلوديو، فقد عرفته لا يطرب إلا لقرع الطبول وصوت المزمار^(١)، فإذا هو اليوم يؤثر عليهما سماع الرية والطنبور، وعرفته يقطع عشرة أميال سيرًا على قدميه ليرى آلامه^(٢) حسنة فإذا هو اليوم يقضى عشر ليلاً ساهراً يفكر فى زى صدار جديد وكان فيما مضى الصريح الموجز، يرمى إلى هدفه شأن الرجل الأمين، وديدن الجندى فإذا هو يصح الرجل المتعالم المتأنق^(٣) فى حديثه الحافل القول بأغرب أصنافه، كأن حديثه المائدة المليئة بأعجب ألوان الطعام وصحافة، فهل أرجو أن أتحوّل هكذا وأتبدل، وأشهد بعينى ما تشهد عيناه؟ لا أدري! ولا أظن، وأحسب الحب سيحيلنى قوقعة أو يردنى حيوانًا، ولكنى أقسم أنه لن يجعلنى أبله مآفونا، قبل أن يتم له تحويلى كذلك،

(١) أى فى الحرب وهو جندى ولكنه اليوم يفضل أن يسمع موسيقى القرب والطنابير، أى ألحان الحب وموسيقاه.

(٢) اللأمة هى الدرع وغيرها مما يلبس فى القتال، ولكنه اليوم مولع بالتأنق وإظهار الرشاقة فعل أهل الصباية والهوى، وبهذا قس ما يلى عن لهجته وحديثه.

(٣) فى الأصل "أورتوجرافي" وبعض الرواة يحسبها أورتجراف أى المتشدد فى أصول الكلمات أو المدعى العلم بمتونها وتصرفها.

إن في النساء الحسناء، وأنا الخلى، والعاقلة ولكنى لست أرضاها، والفاضلة، وقلبي من حبها خلاء، حتى تجمع كل هذه الصفات، وتتوافر لها كل هذه الخلال. لتكن ذات مال، فهذا لا نزاع فيه، وأخت حكمة، وإلا لما رضييتها، وفاضلة، وإلا لما قبلت مساومة فيها، وحسنا، وإلا لما نظرت إليها، ورقيقة، وإلا لما دنت مني، ونبيلة^(١)، وإلا لما كنت حيالها ملاكا، وخطوة الحديث صاحبة طرب بارعة، شعرها كما صنعه الله.. ها.. ها هو ذا الأمير، والسيد "الحب"^(٢) قادمان، فلأختبئ في الخميعة (يختبئ).

(يدخل دون بدرو وكلوديو وليوناتو)

دون بدرو: تعال بنا ألا تستمع لهذه الموسيقى؟

كلوديو: بلى، يا مولاي الكريم، ما أسجى الليل! كأنما قد سكت عن عمد، ليزيد اللحن حسناً وانسجاماً.

دون بدرو: أرايت أين اختبأ بنيديك.

كلوديو: ليكن يا مولاي، أما والموسيقى قد انتهت، فليأذن للشعلب الصغير بهذه التافهة^(٣).

(يدخل بلتازار والموسيقى)

دون بدرو: هلم يا بلتازار أسمعنا هذه الأغنية مرة أخرى.

بلتازار: أى مولاي الكريم، لا تكلف صوتاً قبيحاً كصوتي، أن يسىء إلى الطرب أكثر من مرة^(٤)؛

(١) أى صدفة أو سمكة أو أى حيوان والمعنى أن الحب لن يفعل به مثل ما فعل بكلوديو ٢. نبيلة هنا مؤنث "نبيل" وهو عملة تساوى ٦ شلنات و ٨ بنسات أى نحو نصف جنيه "وملاك" ليس اللفظ المفهوم لدينا، ولكنه اسم عملة أخرى تساوى ١٠ شلنات والمعنى العام من كل هذه الأوصاف أن بنيديك يصور المرأة المثالية التى يرضاها وأنه لن يؤدى فى سبيلها جنيها مقابل نصف جنيه ولا يقبل هذه المساومة.

(٢) أى الحب. يعنى كلوديو وقد أولع شكسبير بتجسيم النعوت والمصادر كالسيدة لسان والسيدة إشاعة كما مر بك.

(٣) يقصد بالشعلب الصغير بنيديك.

(٤) الإساءة إلى الطرب. أى هذا الصوت القبيح الذى سيسىء إلى سمعة الفن.

دون بدرو: إن إنكار المرء لفضله ودعواه الجهل بأحسن ما فيه، لهما دائما خير برهان على عظم شأنه، وجلال قدره، فغن ولا تدعنى أكرر السؤال، وأردد الخطبة (١).

بلتازار: سأغنى ما دمت قد تحدثت الخطبة، فكم من خطيب شرع فى خطبة فتاة لا يحسبها خليفة به، ولكنه يمضى فى تشبيهه، ويقسم أنه الصب المستهام،

دون بدرو: أناشذك أن تغنى، أو إن أبت إلا المضى فى المحاجة، فلتكن حججك أنغاما.

بلتازار: ألق بالك على هذا قبل أن أنطلق بأنغامى، إذ ليس فيهن نعمة جديدة بالملاحظة.

دون بدرو: يا عجبا، إن كلامه هذا "دندنة" فى ذاتها ونغمات، فهو لا يكف عن ذكر الأنغام ولا يقول شيئا.

(يبدأ بلتازار)

بنيديك: يا لجلال النغم وسحر الأوتار، هذه روحه قد بدأت تفتن، أليس عجيبا أن تكون لأمعاء الضأن، القدرة على اجتذاب الأرواح من أعماق الأجسام (٢)

الأغنية

بلتازار: أيتها الغيد اكفنى عن التأوه والتنهيد، فديدن الرجال، الخداع والضلال، قدم لهم فى البحر، وقدم فى البرن ولا نبات عندهم إلى آخر الدهر. حسبكن تحسرا وتتهيدا، واتركنهم وشأنهم، وابتغين لهوا ومرحًا وانتئين عن أناشيد الحزن، إلى أغانى الأفراح، والطرب. حسبكن ترنما بالأناشيد النكدة الثقيلة، كذلك كان غدر الرجال من الأزل، منذ خلق الصيف مورقا وارفا والظل، وإذن تحسرا... إلخ...

دون بدرو: يمين الحق إنها لأغنية حسنة.

بلتازار: والمعنى ردى يا مولاي.

(١) أى أخطب صوتك وأطلب إليك أن تغنى، وقد استخدم الخطبة فى هذا التعبير ليمهد للجواب التالى من المعنى.

(٢) أمعاء الضأن هى الأوتار، لأنها تصنع منها.

- دون بدرو: كلا. كلا.. يمينًا إنك لتغنى غناء حسنًا ينتقل من نعمة إلى نعمة.
- بنيديك: لو كان كلبا وعوى هذا العواء، لشنقوه، أرجو الله أن لا يكون صوته القبيح نذيرا بسوء، ووددت لو أنى سمعت الغراب الأسحم، وإن جاء الطاعون فى أثره يدهم.
- دون بدرو: أسمع يا بلتازار؟ أرجوك أن تأتينا بموسيقى بديعة، لأننا نريدها مساء غد، تحت شرفة مخدع الحسناء هيرو،
- بلتازار: سأتى بخير ما أستطيع يا مولاي.
- دون بدرو: افعل.. مع السلامة.
- (يخرج بلتازار)
- أقبل ليوناتو، ما الذى نبأنتيه اليوم.
- كلوديو: أى نعم.. لنتقدم بحذر.. إن الطائر جاثم مطمئن^(١)، ما كنت أحسب يومًا أن هذه السيدة ستحب أحدًا.
- ليوناتو: ولا أنا . وأعجب العجب أن يشغفها السنيور بنيديك حبًا، وهى تبدى له فى الظاهر أشد المقت.
- بنيديك: أممكن هذا؟ أتهرب الريح من هذه الناحية؟
- ليوناتو: يمين الحق يا مولاي إنى لفى حيرة، لا أدرى كيف توليه هذا الحب الشديد. إن هذا الأمر يتجاوز حدود المعقول.
- دون بدرو: لعلها تتظاهر.
- كلوديو: محتمل، جائز.
- ليوناتو: بالله.. تتظاهر.. ما أحسب فى الدنيا عاطفة مزيفة هى أدنى إلى العاطفة الصحيحة مما تبديه.

(١) هذا اصطلاح فى القنص . يشير به شكسبير إلى حصان خشبى يختبئ خلفه الصائد فيتحرك الحصان به على مهل لكى يدنو من القنيسة وهى لا تشعر به. وقوله إن الطائر مطمئن . وفى الأصل إن الدجاجة جالسة . يرد بها أن الصائد حين يدرك أن الطائر غير فزع ولا يزل مطمئنًا فى موضعه يروح يقول لنفسه هذه العبارة. والمفهوم أن بنيديك هو فى هذه الاستعارة الطائر المطمئن وهم الذين يحاولون صيده.

- دون بدرو:** وأى أعراض الحب هي كاشفة؟
- كليوديو:** أصلح الطعم في الشص، فإن هذه السمكة ستقضمه.
- ليوناتو:** أتسألني عن الأعراض يا مولاي؟ إنها سوف تدهشك، ألم تتبئك ابنتي كيف كان ذلك؟
- كليوديو:** لقد نبأتني حقا.
- دون بدرو:** كيف..كيف أناشذكما، فقد أدهشتماني، لقد كنت أظن أن عواطفها مستعصية على هجمات الحب وطعناته.
- ليوناتو:** لم أكن لأتردد يا مولاي في القسم بذلك، وبخاصة نحو بنيديك بالذات.
- بنيديك:** كنت أحسبها خدعة ومكرا، لولا أن المحدث بهذا هو ذلك الشيخ الأشيب، والمكر لا يمكن أن يجتمع مع هذا الوقار الطاهر.
- كلوديو:** لقد وقع الصيد في الفخ، فلا تدعوه يفلت منه.
- دون بدرو:** وهل كاشفت بنيديك بحبها؟
- ليوناتو:** كلا. وقد أقسمت أنها لن تفعل. وهذه هي محنتها.
- كلوديو:** حقا إنها لكذلك. فقد حدثتني ابنتك أنها قالت لها: "أنا التي طالما سخرت منه حين لقبته، أكتب إليه بأني أحبه؟".
- ليوناتو:** هذا هو ما تقوله الآن، حين بدأت تكتب إليه، فهي تنهض عشرين مرة في الليل، فنكتب وهي في جلبابها حتى تملأ صفحة كاملة، لقد حدثتنا ابنتي عن هذا كله.
- كلوديو:** أما وقد ذكرت الصفحة "المليئة"، فلا أزال أذكر فكاها مليحة قالتها لنا ابنتك.
- ليوناتو:** آه، حين فرغت من كتابتها، وقرأت الصفحة التي "ملأتها" خيل إليها أن بنيديك وبياتريس في الفراش فوق "ملاءتها"⁽¹⁾
- كلوديو:** هذه هي النكتة بالذات.

(1) لعب شكسبير هنا بكلمة الصفحة لها تحتل معنيين أولهما الصفحة التي تكتب والآخر غطاء السرير أو الملاءة. ومعنى النكتة أنها تخيلتهما نائمين في فراش واحد.

ليوناتو: لقد مزقت الكتاب إربا، وسخرت من نفسها كيف لم تستح أن تكتب مثله، إلى رجل تعرف أنه سوف يستهزئ بها، وانثت تقول، إننى أقيسه "بما كنت أنا فى مثل هذه الحال فاعلته" فلو كتب إلى هكذا لسخرت منه، وإن كنت أحبه.

كلوديو: ثم تخر راحة على ركبتيها، باكية، ناشجة. تدق صدرها بكفها، وتقتلع شعرها، وتضرع، وتلعن، وتنادي، أى بنيديك الجميل "اللهم ألهمنى الصبر".

ليوناتو: هذا هو ما فعله كما علمت من ابنتى، حتى لقد بلغ من فرط جنتها، وأثر النوبة العنيفة التى انتابتها، أن بدأت ابنتى تخشى أن تلحق بنفسها أذى بليغا فى أثناء نكبتها وهذا صحيح..

دون بدرو: يحسن أن يعرف بنيديك هذا الأمر بأية وسيلة أخرى، مادامت تأبى أن تكاشفه به.

كلوديو: وما النتيجة، فلسوف يتخذها هزءًا، ويزيد فى تعذيب المسكينة طغايًا وغيًا.

دون بدرو: لو فعل. لكان من الخير أن نشنقه شنقا. إنها لفتاة حسناء حلوة. وفاضلة فوق كل شبيهة.

كلوديو: وحكيمة إلى أبعد حدود الحكمة.

دون بدرو: هى كذلك إلا فى شىء واحد، وهو حب بنيديك.

ليوناتو: إن الحكمة يا مولاي والعاطفة، تتنازعان وتضطرمان فى هذا البدن الغض، ولدينا الأدلة المتوافرة على أن العاطفة هى المنتصرة وإنى لها لمحزون، ولى العذر، لأنى عمها وولى أمرها.

دون بدرو: ليتها وهبتنى أنا هذا الحب الجنوني، إذن لاطرحت كل اعتبار وجعلتها نصف نفس. أرجوك أن تنبئ بنيديك وتعرف ما هو قائل.

ليوناتو: هل تظن أن فى ذلك نفعًا؟

كلوديو: إن هيرو تظن أنها ستموت لا محالة، لأنها تقول إنها ستقضى إذا هو لم يحبها، وستموت قبل أن تعلن حبها، وستفضل الموت إذا هو فاتحها على الإقلال من مألوف سخريتها منه.

دون بدرو: تحسن صنعا. لأنه من الجائز إذا هى عرضت عليه حبها أن يسخر منه؛ لأن الرجل كما تعلمون ذو نفس هازئة ساخرة.

- كلوديو:** إنه مثال الرجل المستقيم الفاضل.
- دون بدرو:** إنه له في الحق مظهرًا جميلًا يستهوى النفوس.
- كلوديو:** وإنى لأشهد أمام الله أنه لرجل كريم.
- دون بدرو:** إنه لتبدو عليه في الواقع مخايل الحكمة، وتنبثق منه شرارة ذات بريق يشبه الذكاء.
- كلوديو:** وأنا أعده شجاعًا بأسلاً.
- ليوناتوا:** أؤكد لك أنه في مثل شجاعة "هكتور"^(١) وبسالته، أما في تدبير الاشتباكات والمشاجرات؛ فلك أن تقول إنه الحكيم، لأنه إما أن يتحاشاها بفطنة بالغة، أو يتولاها بخشية أقرب ما تكون لها خشية المسيحيين المؤمنين.
- ليوناتوا:** إذا كان حقًا يخشى الله. كان حتمًا الوديع المسالم، أما إذا هو لم يجنح إلى السلم، فلا مفر له من الدخول في الشجار وجلًا مرتجفًا.
- دون بدرو:** هذا هو دينه، لأنه يخاف الله، وإن لم يبد ذلك عليه للنكات والأمازيح الجافة التي يرسلها. إننى ليحزنى حظ ابنة أخيك. أذهب لنبحث عن بنيديك لكى ننبيه بحبها.
- كلوديو:** ينبغي أن لا تخبره بذلك يا مولاي، ولتدعها تتغلب عليه بحسن تفكيرها.
- ليوناتوا:** كلا. هذا غير جائز، فقد ينهك الصبر عليه فؤادها أولاً.
- دون بدرو:** حسن ما قلت، ولنسمع من ابنتك ما هي فاعلة بعد، ولندع الأمر في سبيله حتى يهدأ قليلاً، إننى أحب بنيديك حقاً، وبودى لو يعود إلى نفسه فيبلوها، حتى يتبين إلى أى حد هو غير خليق بسيدة طيبة مثلها.
- ليوناتوا:** مولاي، ألا نمضى، إن العشاق قد أعد.
- كلوديو:** إذا هو لم يشغف بها حباً بعد هذا، فلن يصدق يوماً ظنى.

(١) أكبر الأبطال في حروب طروادة وكان زوجاً لأندروماك وفي هذه الحروب قتل بتروكلاس صديق أخيل، فحنق عليه، وتقدم من أسوار طروادة، فهرب القوم جميعاً وثبت هكتور بادئ الأمر ولكن الخوف استولى عليه ففر وتبعه أخيل حتى تمكن من قتله، وقد أرف شكسبير يصف لماذا شبه بنيديك به في تحاشي المعارك أو الإقدام عليها.

دون بدرو:

لندع الشرك على هذا النحو منصوبا لها، وهذا هو ما نحن تاركوه لابنتك ووصفيتها تديرانه، وستكون التسلية الممتعة حين يعرف كل منهما شغف صاحبه، بودى لو أرى هذا المشهد، إنه سيكون تمثيلاً بالإشارات لا بالكلام. دعونا نوفدها لتدعوه إلى العشاء.

(يخرج دون بدرو وكلوديو وليوناتو)

بنيديك:

(يتقدم من مخبئه) لا يمكن أن يكون هذا خدعة. فقد كان الحديث جدًا. وقد عرفوا حقيقة الأمر من هيرو، ويبدو لي أنهم على الفتاة ممشفقون. والظاهر أن حبها بلغ نهاية المدى.. إنها تحبني... يا لله! لا معدى عن تبادل الحب والاستجابة له، وقد سمعتم يلومونني وينتقدون مسلكي ويقولون إننى سأروح المزهو المتكبر، إذا لمحت الحب من جانبها منبعثا، ولقد قالوا أيضًا إنها لتؤثر الموت على إظهار حبها، ولكنى لم أفكر يومًا فى الزواج ولا ينبغى لى أن أبود صلفا متكبرا، إن السعداء من يسمعون معايبهم فيستطيعون إصلاحها، وهم قائلون إن السيدة حسناء، وهذا صحيح، وإنى لشاهد لها بالحسن غير منكر؛ وإنى لشاهد لها بالحسن غير منكر؛ وفاضلة، وهذا حق لا أكذبه؛ وأريية عاقلة، إلا فى حبي، ولكن يمين الحق إن حبها لى لا يزيد فى حكمتها، ولا يضيف شيئًا إلى فطنتها، ولا هو بحجة بالغة على حماقتها؛ لأننى سأتناهى فى حبها، وأمعن فى الكلف بها، ولعلى مستهدف لشيء من النكت وقليل من السخرية، لأننى كثيرًا ما سخرت من الزواج واستزريته، ولكن ألا تتغير الشهوة إلى الطعام، وتقبل أحيانًا أو تتصرف. فقد يحب الرجل أكل اللحم فى شبابه. فإذا تقدمت به السن لم يعد يطيقه. فهل ترى هذه النكت والأمثال، والفكاهات التى لا ضرر فيها، صارفة المرء عن سبيله، عادلة به عن رغبته وهى نفسه. كلا.. يجب أن يعمر العالم بالناس، وحين قلت إننى أوتر أن "أموت" أعزب، لم أكن أدري أننى "سأحيا" حتى أقرن.. ها هى ذى بياتريس قادمة.. وحق هذا النهار إنها لحسناء، وإنى لألمح بعض أمارات الحب عليها.

(تدخل بياتريس)

بياتريس:

أوفدت على كره منى لأدعوك إلى العشاء.

بنيديك:

أشكرك أيتها الحسناء بياتريس على تجشمك هذا التعب.

بياتريس: لم أتكبد فى سبب شرك لى تعباً، أكثر من تكبدك أنت فى شكرى. ولو كان فى مجيئى إليك تعب لما جئت.

بنيدىك: هل سترك إذن الوفادة إلى؟

بياتريس: أجل، كسرورك من تناولك مدية ووخز غراب بسنانها.. ألا رغبة لك فى الطعام يا سنيور..؟ طاب يومك (تخرج)

بنيدىك: ها..! "لقد أوفدت إليك على كره لأدعوك إلى الطعام"، إن هذا القول منها يحمل معنيين. ثم قولها لم أتكبد فى سبب شرك لى تعباً أكثر مما تتكبده أنت لشكري، يعنى أن أى تعب أتكبده فى سبيلك لسهل هين كالشكر.. وإذا أنا لم أشفق عليها، كنت وغداً دنيئاً، وإذا أنا لم أحبها كنت يهودياً.. فلأذهب لأظفر بصورتها. (يخرج)

الفصل الثالث

المنظر الأول

في حديقة ليوناتو

تدخل هيرو ومرجريت وأورسولا

هيرو : أسرعى يا مرجريت إلى الردهة، تجدى ابنة عمى بياتريس، نتحدث مع الأمير وكلوديو، فاهمس فى أذنها أننى أنا وأورسولا نتمشى الساعة فى الحديقة، وإن حديثنا كله يدور حولها، وقولى إنك استرقت السمع علينا، واطلبى إليها أن تتسلل إلى الدغلة الظليلة المشذبة، حيث أنضجت الشمس أعواد العلندا، فمنعتها من النفاذ فيها، كمثل أهل الحظوة عند الأمراء، يتكبرون على السلطان الذى اصطنعهم، ويزهون على الصولة التى أنشأتهم؛ ونبئها أنه يحسن بها أن تختبئ عن كذب لتتصت إلى حديثنا، وتتسمع علينا. هذه هى مهمتك، فأحسنى تأديتها ودعينا وحدنا.

مرجريت: وأكد أنى سأتى بها فى الحال (تخرج)

هيرو: والآن يا أورسولا اسمعى: لنجعل حديثنا إذا جاءت بياتريس، ونحن نقطع هذا الدرب ذهابا وجيئة، منصرفاً بجملته إلى الكلام على بنيديك، فإذا ما ذكرت اسمه، فليكن قولك مديحاً فيه، وثناء عليه، أطيّب مما ظفر امرؤ يوماً بمثله، وسأحدثك أنا عن مدى صبابته ببياتريس، وفرط جواه، فكذلك نصطنع سهام كيوبيد الصغير ونباله المصمية، تجرح بالسماع وتدمى بالرواية^(١).

(تدخل بياتريس من خلفهما)

والآن فلنبدأ الكلام فها هى ذى بياتريس قادمة تتسلل كالزقراق^(٢)، يتوثب قريبا من الأرض، لكى تتصت إلى حديثنا.

ورسولا: إن أكثر ما فى الصيد من متعة، أن يشهد الصائد السمكة، تمرق بزعانفها الذهبية تحت أمواه الجدول الفضى، وتقبل منهومة على الطعم الغدار لتأكله، وما مثلنا حيال بياتريس إلا كمثل هذا الصائد المترقب، وهى الآن منزوية

(١) أى أن الحب كثيرا ما يأتى بالسماع، كقول بشار: والأذن تعشق قبل العين أحيانا.

(٢) من عادة هذا الطائر أن يصرخ كلما طار ليبعد الصائد عن صغار، وهو يتوثب وهنا تحليل جميل لطيرانه قريبا من الأرض كاستعارة لتسلل بياتريس.

بين أعواد العلندا مختبئة، فلا تخشى من ناحية دورى فى هذا الحوار الذى
سيجرى بيننا.

هيرو: لنقترب إذن منها، حتى لا يفوت أذننا شىء من هذا الطعم الخادع الحلو
الذى ندسه لها،

(تقتربان من الدغلة)

كلا، والله يا أوسولا، إنها لمفرطة فى الترفع والكبرياء، وأعرف عنها شدة
الحياء وإنها لنافرة كالصقور البرية والرخم.

أوسولا: ولكن أواقفة أنت أن بنيديك يحب بياتريس من كل قلبه؟

هيرو: هكذا يقول الأمير وقرينى الجديد.

أوروسولا: وهل طلب إليك يا مولاتى أن تتبئها به.

هيرو: لقد ناشداني أن أكاشفها به، ولكنى رجوتها إن كانا يحبان بنيديك حقا، أن
ينصحا له بمغالبة حبه، فلا يدع بياتريس تعرف عنه شيئاً.

أوسولا: ولماذا فعلت ذلك، أليس هذا الرجل الكريم خليقا ببياتريس زوجاً وشريك
فراش؟

هيرو: يا إله الحب، إنى لأعرف أنه خليق بكل ما يجدر برجل أن يوهبه، ولكن الله
لم يخلق قلبا أشد زهوا من قلب بياتريس. إن الترفع والسخرية يتلألآن فى
عينها، فتستصغرآن شأن كل ما تقعان عليه. وهى تبالغ فى تقدير قوة ذكائها
حتى ليبدو كل ما عداه ضعيفا. إنها لا يمكن أن تحب، ولا تطبيق التفكير فى
الحب أو تصويره، إنها محبة لذاتها، مفرطة فى أثرها،

أوسولا: حقاً إنى لأراها كذلك. ولهذا يحسن بلا شك ألا تعرف شيئاً عن حبه لنلا
تعبت به.

هيرو: الحق ما قلت، فما رأيت فى حياتى رجلاً، حكيماً نبيلاً فتياً، نادر الوسامة،
حلو القسمات، إلا أساءت وصفه، وعكست عليه مزاياه، فإن كان أبيض
الوجه، أقسمت أنه كان خليقا به أن يكون أختها. وإن كان أسمر قالت إن
الطبيعة أرادت، أن ترسم صورة مهرج مهذار. فسكبت فرطة من الممداد فكان
تلك القطرة. وإن كان طويلاً فهو الرمح الرديئى الرأس. وإن كان قصيراً فهو
عندها فص من عقيق، لم يتقن قطعن ولم يهذب تركيبه. وإن كان متحدثاً،

فهو فى نظرها دوارة تدور مع الرياح. وإن كان صموتا، فصخرة لا يحركها شيء، وكذلك هى، تقلب كل رجل إلى ضده، وتحيله إلى نقيضه، ولا تعطى الحق والفضل يوماً نصيبهما من البساطة والاستحقاق.

حقا. حقا. إن هذا البحث عن المثالب ليس مستحيا.

أورسولا:

إن كل شذوذ وخروج عن المؤلف، كدأب بياتريس، هيهات أن يستحب، ولكن منذ الذى يجسر أن يقول هذا لها؟ فلو تكلمت، لسخرت منى وهزأت، بل لأضحكتنى من نفسى، وأثقلت كاهلى بعبء فكاهتها حتى ألفظ الأنفاس^(١)، فليبق بنيدىك كالنار المغطاة، وليحترق زفرات، ولتذهب نفسه حشرات، فإن الموت على هذا النحو خير من الموت من وخزات الاستهزاء. وما أشبهه بالموت من الغمز والتخميش.

هيرو:

ومع ذلك فلتحدثنى فى هذا إليها، ولتسمعى ما تقول.

أورسولا:

كلا. إنى لأوثر أن أذهب إلى بنيدىك، وأنصح له أن يغالب صبابته، ويصارع جواه، وفى الحج إننى سأخنتلق أكاذيب لا بأس منها لألصقها بابنة عمى؛ فمن يدرى كم من كلمة سواى سممت حبا، وأفسدت عاطفة.

هيرو:

لا تسيئى إلى ابنة عمك هكذا. فما أحسبها متجردة من صحة الحكم والتقدير إلى هذا الحد، وهى الفطنة الحاضرة البديهة الذكية، والرضى بسيد مهذب نادر المثال كالسنيور بنيدىك، أحجى وأولى من رفضه.

أورسولا:

إنه الرجل الأوحد فى إيطاليا، إذا استثنينا عزيزى كلوديو بطبيعة الحال.

هيرو:

أناشذك يا مولاتى أن لا تغضبى منى إذا صارحتك برأى. إن السنيور بينيدىك لأعظم الناس شهرة، بحسن الصورة والسمت ورجحان العقل والشجاعة، فى طول إيطاليا وعرضها.

أورسولا:

حقا. إن له شهرة عظيمة واسعة.

هيرو:

لقد أكسبته شمانله هذه الشهرة قبل أن ينالها ومتى يتم قرانك يا مولاتى؟

أورسولا:

(١) إشارة إلى عقوبة قديمة فى القانون كان يحكم بها على الذين يرفضون الدفاع عن أنفسهم حيال التهم التى توجه إليهم، وهى وضع أثقال كبيرة على معدة السجين وصدرو، وهو منبطح على ظهره، وكلما رفض الكلام زدوا الأثقال عددا حتى يعترف أو يموت من تأثير الضغط سحقا وقد ألغيت هذه العقوبة فى عام ١٧٧٢.

هيرو: كل يوم، مادام سيتم غدا (١). هلمى ندخل. لأريك بعض الثياب. واستصحك
أيها أحسن لتوافيني به غدا.

أورسولا: لقد وقعت فى دبق الفخ. أوكد لك يا مولاتى أننا قد أوقعناها فى الشرك.

هيرو: إذا صح ما تقولين، صح أيضاً أن الحب قد يأتى مصادفةً واتفاقاً، وأن بعض
الناس يصرعهم كيوييد بالسهام، وبعضهم يوقعهم فى الفخاخ.

(تدخل هيرو وأورسولا)

بياتريس: (تتقدم) ما هذه النار التى تحرق أذنى.. أحق هذا الذى سمعته (٢)، أكذا أرمى
بالإفراط فى الكبرياء، والسخرية إلى هذا الحد، فالיום وداعاً أيتها السخرية،
وعفاء عليك يا حياء "العذارى"، فلا حياة للمجد وراء ظهرك، ويا بنيديك
امض فى حبك فإنى لمنصفتك، ومروضة قلبى الناظر على لمس راحتك
الحانية، فإن كنت تحب فإن حنانى سيدفعك إلى ربط حياتنا برباط مقدس،
لأن الناس يقولون إنه بالحب جدير، وأنا أعرف به من القائلين.

(١) أى ما دمت سأقتن غداً، فسأكون زوجاً كل يوم بعد غد حين يأتى الغد.

(٢) مثل قديم كان العامة يتمثلون به، وهو قولهم إنك إذا أحسست بحكة فى أذنك فمعناه أن هناك إنساناً يتحدث عنك والعوام عندنا يظنون الفراق كذلك.

المنظر الثاني

غرفة فى دار ليوناتو

يدخل دون بدرو وكلوديو وبنيدىك وليوناتو

دون بدرو: لن أقيم هنا إلا ريثما يتم زواجك ثم أذهب إلى أرجون.

كلوديو: سأرافقك إليها يا مولاي، إذا سمعت.

دون بدرو: كلا. لو فعلت لكان ذلك أشبه شىء، بلطخة فى صفحة زواجك الناصعة

الجديدة، كمن يرى الطفل رداءه الجديد ثم يمنعه من ارتدائه، ولن أجرؤ إلا على اصطحاب بنيدىك لأنه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ملئ مرحًا، مفعم فكاهة، وقد قطع مرتين أو ثلاث مرات لكيوييد وتر قوسه. فلم يجرؤ هذا الجلاد الصغير ^(١) على إطلاق السهام عليه وإن له لقلبا سليما كالناقوس رنينًا، ولسانه هو مدقه ^(٢) كلما خطر للقلب خاطر، كان لسانه عنه المعير.

بنيدىك: سادتى اليواسل، لم أعد المرح الذى كنته.

ليوناتو: هذا ما قلته، يلوح لى أنك مكتئب.

كلوديو: لعله عاشق.

دون بدرو: لا تعلق هذا الوهم به، ولا يشرد بك الفكر فيه، فليس فيه نقطة صادقة من

الدم يمكن أن يمسخها الحب حقًا. فإن كان مكتئبًا فهو فى حاجة إلى المال.

بنيدىك: بل هو وجع ضرس،

دون بدرو: اقلعه.

بنيدىك: ألا سحقًا له.

كلوديو: اربطه بالخيط ثم اجذبه.

دون بدرو: لك الله! أتزفر من وجه ضرس؟

(١) كذلك كان يوصف كيوبيد إليه العشق.

(٢) المدق هو مقبض الناقوس.

- ليوناتو:** حيث لا يوجد إلا بعض الصديد أو السوس،
- بنيديك:** فى وسع كل إنسان أن يتغلب على الألم إلا من يعانيه.
- كلوديو:** ولا زلت أقول إنه عاشق.
- دون بدرو:** لا أثر فيه لهوى، إلا أن يكون نزوعا إلى غريب تتكرر، كان يبدو اليوم هولنديا، وغدا فرنسيا، أو فى زى رجلين من أمتين فى آن واحد، كألمانى مثلا، من الخاصرة فما دون سراويل فضفاضة، وكاسبانى، من العجز فما فوق، بغير صدار، فإذا لم يكن له هذا الهوى الذى ينازعه إلى هذه الحماسة، . ويبدو أنه له هذا الهوى . فليس هو من الحمق بحيث ينزع إلى الخيال، كما تريد أن تظنه كذلك.
- كلوديو:** إذا لم يكن قد وقع فى حب امرأة، فلا خير إذن فى تصديق الإمارات. لقد راح ينفض بالفرشاة قبعته كل صباح، فماذا ترى ذلك منبئا به؟
- دون بدرو:** هل بص به أحد عند الحلاق؟
- كلوديو:** كلا. ولكن صبى الحلاق رؤى عنده. وأمسى ما كان عليه لخدته، حشوا للكرات التى يتقاذفها اللاعبون (١).
- ليوناتو:** حقا، إنه ليلوح اليوم أصغر سنا، منه فيما مضى بعد زوال لحيته.
- دون بدرو:** إنه ليتضمخ بالمسك.. ألم تعرفوه بطيبه قبل أن يقترب؟
- كلوديو:** ومعنى هذا بعبارة أخرى أن هذا الفتى الظريف البديع عاشق.
- دون بدرو:** إن الكآبة أكبر سمات هذا الحب.
- كلوديو:** ومتى رأيتموه قد اعتاد غسل وجهه؟
- دون بدرو:** أى نعم، بل متى كان يتزين ويتجمل؟ وهذا ما أسمع الناس يقولن عنه.
- كلوديو:** ولكن روحه الماجنة قد تسللت الآن إلى أوتار عود تتحكم فيه المفاتيح (٢).
- دون بدرو:** الواقع أن فى هذا دليلا قويا، نستنتج منه أنه يحب.

(١) أى اصبح يخلق لحيته وهى حلية الخد، وأصبح الشعر المحلوق تحشى به الكرات.

(٢) استعارة من الموسيقى يشير فيها الشاعر إلى المفاتيح المقامة فى مقبض العود يعمد إليها الموسيقار فيحكم ضبطها حين يشاء إصلاح الأوتار وضبط الأنغام. أى أصبح قليل التكتيت ولم يكن هذا شأنه من قبل.

- كلوديو: نعم. وأنا أعرف من التي تحبه.
- دون بدرو: وأنا أيضًا أريد أن أعرفها، وأؤكد لك أنها فتاة تجهله.
- كلوديو: أجل ولا تدري عن سوء حاله شيئًا، وإن كانت مع ذلك تموت من فرط حبها إياه.
- دون بدرو: ستدفن وجهها إلى أعلى^(١).
- بنديك: وبعد فليس هذا "برقية" من وجع الأسنان.. أيها لشيخ، هلا انتحينا ناحية؟ فقد أعددت ثمانى كلمات أو تسعًا أريد أن أقول لك، حتى لا يسمعها هذا السخيفان.
- (يخرج بنديك وليوناتو)
- دون بدرو: إنى لشديد الرغبة فى أن أنقل إليه حب بياتريس له.
- كلوديو: إن الأمر لكذلك وقد أدت هيريو ومرجريت^(٢) دورهما معها، ولهذا لن يعرض الدبان بعضهما بعضا حين يلتقيان^(٣)
- (يدخل دون جون)
- دون جون: سلمت يا مولاي وأخى.
- دون بدرو: نعمت مساء يا أخى.
- دون جون: أريد أن أتحدث إليك إذا سمح بذلك وقتك.
- دون بدرو: حديثًا خاصًا..؟
- دون جون: إذا تفضلت، ولا بأس من أن يسمع الكونت كلوديو لأن الكلام الذى سأقوله يعنيه.
- دون بدرو: ما خطبك؟

(١) هذه العبارة ليست واضحة لأن الموتى جميعًا يدفنون هكذا، ولكن شكسبير افترض أننا لا نعرف. وقال المفسرون إنه قد يقصد "وكعباها إلى أعلى".

(٢) المقصود "أورسولا" لا مرجريت كما مر.

(٣) إى لن يهاجم أحدهما صاحبه عند التقائهما. والعرب تقول ينتطح فى الأمر عنزن.

- دون جون: (مخاطبا كلوديو) هل تنتوى يا مولاي القران غدا؟
- دون بدرو: وأنت تعرف أنه ينتويه.
- دون جون: لا أعرف ذلك، حين يعرف ما أنا عارف.
- كلوديو: إن كان ثمة حائل، ناشدتك أن تكشف عنه.
- دون جون: لقد تحسب أنني لا أحبك، فلندع هذا إلى ما بعد، وحاول أن تحسن الظن بما أنا الساعة كاشفه، أما أخى فهو يؤثرك، وقد ساعد عطفاً منه وإعزازاً فى تحقيق قرانك الذى حان موعده واقترب، وما من شك فى أنه قد أخطأ فى هذه الوساطة، وبئس الجهد المبذول فيها.
- دون بدرو: ماذا تقول، وما الخطب..؟
- دون جون: لقد جئت لكى أنبئك باختصار، لأن الحديث طويل، أن هذه الفتاة غير وفية.
- كلوديو: من هيرو...؟
- دون جون: نعم. هي. هيرو ابنة ليوناتو، هيرو صاحبتك، وصاحبة كل رجل.
- كلوديو: أغير وفية هي؟
- دون جون: إن هذا اللفظ لأجمل من أن يصور مبلغ شرها، بل أستطيع أن أقول إنها أدهى من ذلك وأمر. فهل عندك وصف أسوأ لكى أنعتها به؟ ولكن لا تعجب حتى يأتيك الدليل، وما عليك إلا أن تصاحبنى الليلية فترى رجلاً يدخل خدرها من النافذة. فى هذه الليلة التى تسبق يوم زفافها، فإن كنت مع ذلك تحبها فابنِ غداً بها ولكن من الخير لحفاظك وشرفك أن تعدل عنها.
- كلوديو: أيمكن أن يكون هذا صحيحاً..؟
- دون بدرو: لا أظن.
- دون جون: إن لم تستطع أن تصدق ما تراه بعينيك فلا تقر بما تعرف، وسأريك ما فيه الكفاية إن اتبعتني، وبعد أن تبصر وتسمع أكثر مما أبصرت وسمعت، تصرف على ضوءه وافعل وفق مقتضاه.
- كلوديو: إذا أنا رأيت شيئاً الليلية، فلست بمقترن بها غداً، وفى الاجتماع الذى سيعقد، سأخزيها وأكشف عن عارها،
- دون بدرو: وسأشاركك فى كشف شنارها، مادمت أنا الذى سعيت فى الظفر لك بها.

دون جون: لن أنتقصها أكثر من هذا، حتى تكونا شاهدين، فاصبر إلى منتصف الليل،
ودع الأمور تجرى في أعتها.

دون بدرو: يا له من يوم انقلب نحسا.

كلوديو: يا لها من مصيبة تخنق الأنفاس.

دون دون: ستقول حين ترى البقية يا له من شر مستطير عرفنا كيف نحول دونه قبل
مداهمته.

(يخرجون)

المنظر الثالث

طريق عام

يدخل دوجيرى ^(١)، وفارجس ^(٢)، مع جمع من الحراس

- دوجيرى : هل أنتم إخوان خير وصدق؟
- فارجس : أجل، وإلا كان مما يؤسف له أن حقت عليهم النعمة، والعذاب بدنا وروحا ^(٣)
- دوجيرى : نعم وهذا عقاب عليل عليهم، إذا كانت لديهم ذرة من الوفاء، وقد وقع الاختيار عليهم للسهر والرقابة طوعاً للأمر.
- فارجس : عين لهم يا جارنا دوجيرى العمل المطلوب منهم.
- دوجيرى : أولاً من الذى تظنه أبعد من أن يكون جديراً برتبة ضابط صف ^(٤)
- الحارس ١ : هيو أوتكيك ^(٥) يا سيدى أو جورج سيكول لأنهما يقرآن ويكتبان.
- دوجيرى : أقبل يا جارنا سيكول، لقد أنعم الله عليك باسم حسن، إن حسن المظهر حبة القدر، ولكن معرفة القراءة والكتابة تؤتيها الطبيعة.
- الحارس ٢ : وكلاهما يا معلم...
- دوجيرى : (مقاطعا) إنهما لك، لقد كنت أعرف أن هذا سيكون جوابك، أما عن حسن مظهرك يا سيد فاحمد الله ولا تفخر به، وأما علمك بالقراءة والكتابة فلا تظهره

(١) هذا الاسم مركب من كلمتين "دوج" أى كلب و"برى" أى تموت وهو نيات كالعليق ينمو فوق السياج وأسوار الحدائق والدور.

(٢) هذا الاسم تحريف لكلمة "فارجوس" أو فارجز اسم بخيل ومراب قديم وقد اختار الشاعر هذين الاسمين المضحكين ليتناسبا مع الحوار التالي.

(٣) يرد النعمة.

(٤) كونستابل.

(٥) أوتكيك مركب مزجى من "أ و ت" و"كيك" والأولى هو الدخن وكيك أى الفطير أما سيكول فهو أيضاً مركب من سى أى البحر وكول أى الفحم وأكبر الظن أنهما من الباعة أو التجار لأنهما يعرمان القراءة والكتابة.

إلا عندما لا تكون، ثمة حاجة إلى هذه المفخرة^(١)، إن الرأى المجمع عليه هنا أنك أقل الناس عقلا وجدارة^(٢) لرياسة الحرس. فلتمسك أنت إذن بالمصباح^(٣) فهذه هى مهمتك لتركب السافلة^(٤)، وتأمر كل عابر بالوقوف باسم الأمير.

الحارس ٢: وإذا لم يقف؟

دوجيرى: لا تأبه به ودعه ينطلق، وناد فى الحال بقية الحرس، واحمد الله على أنك قد تخلصت من وعد أئيم.

فاجرس: إذا لم يقف حين يؤمر فهو ليس من رعايا الأمير.

دوجيرى: هذا صحيح، ولا دخل للحراس بأحد غير رعاياه، وينبغى كذلك ألا تحدثوا فى الطرق ضحيجا، لأن ثرثرة الحرس وحديثهم أكثر مما يحتمله الإنسان ولا يطيقه^(٥).

حارس: إنا لنؤثر النوم على الكلام، ونحن أعرف الناس بما ينبغى لحراس وما لا ينبغى.

دوجيرى: إنك لتقول قالة شيخ مجرب خبير هو أكثر الناس هدوءاً، فأنا لست أدرى كيف يكون النوم ذنباً، وإنما عليك أن تحترس حتى لا يسرق منك سلاحك^(٦). والمطلوب منك أن تطوف بكل الحانات وتأمر السكارى بالذهاب بالذهاب إلى الفراش.

حارس: وإذا هم أبوا.

دوجيرى: دعهم وشأنهم حتى يفيقوا، وإذا لم تجد منهم عندئذ جواباً أفضل مما أجابوا به أول مرة، فلك أن تقول إنهم ليسوا كما كنت تحسبهم من قبل.

(١) يرد حين يكون ثمة حاجة إلى هذه المقرة.

(٢) يرد أنك أكثر الناس عقلا وأجدرهم برياسة الحرس.

(٣) الذى يمك به الحارس.

(٤) يرد لترقب السافلة.

(٥) يرد ما لا يحتمله.

(٦) فى الأصل "البطة" وهو السلاح الذى كان يحمله الشرطة فى تلك الأيام.

- حارس: حسن يا سيدي.
- دوجيرى: وإذا لقيت لصا أدركت بحكم وظيفتك أنه ليس امرأ شريفاً، أو كلما أقلت من التدخل فى شئون هذا الصنف من الناس، كان ذلك أسلم لشركك.
- حارس: وإذا عرفنا أنه لص أفلا نلقى القبض عليه؟
- دوجيرى: لك أن تفعل بحكم وظيفتك، ولكنى أحسب أن من يلمس القار يلوث يديه، وأسلم سبيل لك إذا وقعت على سارق، أن تدعه يثبت لك من أى صنف من الناس هو فيسترق الخطى ويفارقك.
- فارجس: لطالما قيل عنك أيها الزميل إنك رجل رقيق رحيم.
- دوجيرى: فى الحق لست أرى أن أشتق كلبا بإرادتي، وأنا أكثر (١) من ذلك رغبة فى أن أفعل ذلك برجل أوتى ذرة من الشرف.
- فارجس: إذا سمعت وليداً يصرخ فى الليل فادع المريية واطلب إليها أن تسكنه.
- حارس: وما العمل إذا كانت المريية نائمة فلا تسمعنا؟
- دوجيرى: إذن فانصرف بسلام ودع الوليد يوقظها بصراخه، لأن النعجة التى لا تسمع الحمل حين يرغو، لن تستجيب للعجل حين يخور.
- فارجس: هذا صحيح لا فرية فيه.
- دوجيرى: هذه هل كل المهمة، وأنت يا ضابط الصف، فلتعلم أنك تماثل (٢) فى شخصك الأمير. فإن لقيته ليلاً فلك أن توقفه.
- فارجس: يا الله، هذا ما لا قبل لى به.
- دوجيرى: إننى أراهن أى إنسان يعرف القوانين بخمسة شلنات لقاء شلن واحد، إن له أن يوقفه، إذا رضى الأمير الوقوف طواعية، لأنه ليس للحارس فى الواقع أن يسئ إلى أحد، ومن المساءة أن يوقف المرء أحداً رغم إرادته.
- فارجس: قسماً. إن هذا هو الرأى الذى أراه.

(١) يرد أقل من ذلك رغبة.

(٢) يرد تمثلاً.

- فارجس: ها. ها. ها. والآن يا سادة طاب ليلكم، وإن طراً عليكم أمر ذو بال فادعوني، وأمركم شوري بينكم، وعمتم مساء، هلم بنا أيها الجار!
- حارس: والآن أيها السادة لقد سمعنا الأوامر فهلموا بنا نقصد دكة الكنيسة إلى الساعة الثانية، ثم نذهب جميعاً إلى الفراش.
- دوجيرى: كلمة أخرى أيها الجيران الأخيار. أرجو إليكم أن ترقبوا باب دار السنيور ليوناتو. فإن العرس سيقام فيه غدا وستكثر فيه الحركة الليلة. إلى اللقاء. وافتحوا أعينكم أناشدكم الله.
- (يخرج دوجيرى وفارجس ويدخل بوراشيو وكونراد)
- بوراشيو: كونراد! ألا تسمع؟
- حارس: (في ناحية) سكوتاً.. ولا تتحركوا!.
- بوراشيو: كونراد، غننى أناديك.
- كونراد: هأنذا يا رجل، عند مرفقك.
- بوراشيو: وعشاء الرب (١) لقد أحسست فيه حكة (٢) فظننت أنها سيعقبها جرب.
- كونراد: سوف أحسابك على هذا القول.. والآن على بقصتك..
- بوراشيو: اقترب، ولنقف تحت هذه السقيفة لنحتمي من الرذاذ، وسأحدثك بكل ما عندي فعل السكرارى إذا حلت الخمر عقدة ألسنتهم (٣).
- حارس: (في ناحية) جناية أيها السادة تدانوا.
- بوراشيو: ألا فاعلم أننى ظفرت من دون جون بألف دوقية.
- كونراد: أيمن أن يكون ثمة إثم بيتاع بهذا الثمن كله؟

(١) قسم عند العامة، والعشاء هنا هو العشاء الرانى عند المسيحيين.

(٢) من أمثال العامة، أحس حكة فى كوعى يقال للتطير كما نظن نحن أن العين التى يختالج قد تعد أو تنذر.

(٣) كما يفعل الثمل إذ يبرح بكل ما فى نفسه، والإشارة هنا إلى بوراشية. فهو مشتق من كلمة 'بوراشا' فى الإسبانية ومعناها الزق 'وبوراشيو' معناها السكران.

بوراشيو: أولى بك أن تسأل هل يمكن أن يكون الإثم غنيا إلى هذا الحد؟ لأنه حين يحتاج الأشرار الأغنياء إلى عون الأشرار الفقراء، يحق لهؤلاء أن يعينوا الثمن الذى يطلبون.

كونراد: إننى لفى عجب من هذا.

بوراشيو: إن هذا العجب منك ليدل على أنك لا تزال قليل التجربة، ولا أحسبك تجهل أن زى صدار أو قبعة أمر لا يهم المرء ولا يعنيه.

كوندار نعم.....أنة ملبس فحسب

كونراد: إننى أعنى الزى.

كونراد: أى نعم. الزى هو الزى.

بوراشيو: هراء! إن هذا القول لهو بمثابة قولك إن الأحمق هو الأحمق. ولكن ألا ترى إلى أى حد يبدو الزى لصا مشوها (١).

حارس: (فى ناحية) أعرف المشوه هذا، لقد كان لصا لثيما خلال السنوات السبع الماضية، وإن كان يروح ويغدو كأنه السيد المذهب إننى أتذكر اسمه.

بوراشيو: ألم تسمع صوت أحد؟

كونراد: كلا. إنه صوت الدوارة القائمة فوق سطح البيت.

بوراشيو: قلت لك ألا ترى إلى أى حد يبدو الزى لصا مشوها؟ وكيف يستلب الباب الشباب، ويذهل إخوان الدم الحار. الذين تتراوح أسنانهم بين الرابعة عشرة والخامسة والثلاثين، حتى ليجعلهم تارة يتراءون فى ثياب جنود فروعن فى رسومهم القائمة (٢). وتارة أخرى فى أردية كهنة بعل (٣). كما يبدو فى الرسوم التى تزدان بها نوافذ المعابد، وحينما فى زى هرقل الحليق كما هو مصور على

(١) أى قبيحا ولم يعرف الحارس هذه الكلمة فظنه اسم علم لأحد السراق.

(٢) هى صورة وجدت على أستار من قماش تصور حياة سيدنا يوسف أو موسى عليه السلام. ومأخوذة من التوراة ويبدو فيها الجنود المصريون، وقد رأينا شكسبير يصف تلك الرسوم بأنها مدخنة أو علاها الصناج فأثرنا أن نعبر عنها بقولنا "القائمة".

(٣) بعل البابليين وكان له كهنة.

أدم الأسفار القذرة التى أكلها العث. فى سراويل فضفاضة تشبه فى حجمها عصاه (١).

كونراد: كل ذلك أراه. وأرى أيضًا كيف يبلى الزى من الثياب أكثر مما يبليه الإنسان (٢). ولكن ألسنت أنت نفسك قد أذهلك الزى كذلك وأطار لبك، حتى خرجت من القصة التى ستبئنى بها إلى حديث الزى؟

بوراشيو: ليس الأمر كذلك. ولكن اعلم أننى الليلة قد أغريت مرجريت وصيفة هريرو، وناشدتها باسم مولاتنا أن تظل على من شرفة مخدع سيدتها، وتقرئنى ألف تحية وسلام، وكلنى لم أحسن بداية الخبر. وكان أولى بى أن أقص عليك أولاً كيف شهد الأمير وكلوديو ومولاي من مكان قصى فى الحديقة هذا اللقاء المحبب بإيعاز دون جون وتأثيره. وحملهما على التردد فى ذلك الموضوع.

كونراد: وهل ظنوا أن مرجريت هى هيررو؟

بوراشيو: اثنان منهما حسبها كذلك. وهما الأمير وكلوديو. ولكن مولاي الشيطان كان يعلم أنها مرجريت. وهو الذى تمكن بأيمانه المغلظة من أن يستأثر بلبهما. وأعانه الليل البهيم كذلك على التغير بهما. ولكن الفضل الأكبر يرجع إلى لؤمى ومكري. لأنهما أكدا كل وشاية اصطنعها دون جون، حتى لقد انطلق كلوديا محنقا مغیظا، وأقسم أنه حين يلتقى بها غداة اليوم التالى فى الموعد المضروب. ويقف بجانبها فى الكنيسة سيكشف أمام الجمع الحاشد عارها، ويعلم ما شهدته فى العشية بعينيه، ويردها إلى بيت أبيها غير ذات بعل.

الحارس ١: باسم الأمير أمرك أن تقف.

الحارس ٢: ناد الرئيس. فقد كشفنا هنا أخطر خيانة عرفت فى الدولة.

الحارس ١: ومن بنيتهم واحد يدعى المشوه وأنا اعرفه إنه يرسل على جبينه طرة حب (٣).

(١) إشارة إلى الصورة التى يبدو فيها هرثل حليقا حين كان فى خدمة أومفال يؤدى أعمال النساء. وهذه الصورة مرسومة على أستار تناولها البلى وأكلها العث.

(٢) أى أن الأزياء سرعان ما تتغير وكثيرًا ما تلغى ثيابًا قبل أوان البلى.

(٣) آثرنا كلمة "طرة" للشعر على أية لفظة أخرى لأن عادة الظرفاء والمتأنقين فى عهد شكسبير أن يتركوا خصلة من الشعر تتلى على جباههم أو فيما بلى آذانهم، ولكن الحارس الجاهل ومثله دوجيرى ظنوا "قلا" وفى ذلك يقول . كما سيأتى بعد . يضع مفتاحا فى أذنه ويعلق به قفلاً.

كونراد: يا سادة... يا سادة.

الحارس ٢: وسنحملك على إحضار المشوه معك أؤكد لك هذا.

كونراد: لا تتكلم. إننا نأمرك أن تتركنا نستأقك معنا.

بوراشيو: أكبر ظنى أننا سنكون صيدا ثمينا مادام هؤلاء قد قبضوا علينا.

كونراد: صيدا مريبا. هلموا.. إننا ممتثلان لكما.

(يخرجون)

المنظر الرابع

فى مخدع هيرى

تدخل هيرى ومرجريت وأرسولا

هيرى: أيقظى يا أرسولا ابنة عمى بياتريس واطلبى إليها النهوض.

أرسولا: طاعة يا مولاتى.

هيرى: والحضور إلى هنا.

أرسولا: سمعاً.

(تخرج)

مرجريت: يمينا. إن المرط^(١) الآخر أحسن.

هيرى: كلا... أرجوك. سأرتدى هذا يا مرجريت.

مرجريت: يمين الحق إنه لا يعدله جمالاً، وأؤكد لك أن هذا هو ما ستقوله ابنة عمك.

هيرى: ابنة عمى بلهاء. وأنت مثلها. لن ألبس سواه.

مرجريت: يروقنى هذا المنزر إلى أبعد حد، لو كان الشعر أسمر قليلاً. وأما الثوب فى

الحق آية. لقد رأيت ثوب دوقة ميلانو الذى أفاضوا فى مديحه.

هيرى: آه... لقد قالوا إنه يفوق الوصف.

مرجريت: يمينا إنه لا يعدو جلبابا للنوم إذا قيس بثوبك. نعم لقد نسج من الذهب نسجا.

وجعل مقدمة من الفضة. ورصع بالآلى، وله كمان طويلان من الكتف إلى

المعصم. وأخريان فضفاضتان إلى المرفق. ورطبة مبهرجة بشفاف يضرب إلى

الزرقة. ولكن ثوبك من حيث رقة الطراز، وجمال الزى وأبداعه، أفضل من

عشرة أمثال.

هيرى: أدعو الله أن يمتعنى بارتدائه لأنى أحس ثقلاً شديداً يجسم على صدرى.

مرجريت: لن يلبث أن يصبح "أثقل" تحت بدن رجل..

(١) المرط فى العرية كساء من خز يؤتزر به وتتعلق المرأة به وهو هنا شبيهه بالثوب المقصود.

هيرو: تبا لك.. ألا تستسحين؟؟

مرجريت: مم يا مولاتي، وأنا أقول قولاً شريفاً، أليس الزواج شرفاً حتى للمتسول؟ أو ليس سيدك أماً شرف بغير زواج؟ أحسبك تريدين منى أن أقول "مع احترامى العظيم لك، زوجاً" إذا لم يفسد سوء التفكير صدق القول، فإنى لا أسىء إلى أحد. وهل من بأس فى قولى "سيصبح أثقل تحت بدن الزوج"، لا أعتقد أن هناك بأساً، مادام المعنى المقصود بين المرء وزوجه، وإلا كان خفيفاً لا ثقيلًا. فإذا لم تصدقنى فسلى مولاتى بياتريس فىها هى ذى قادمة.

(تدخل بياتريس)

هيرو: عمى صباحاً يا ابنة العم.

بياتريس: عمت صباحاً يا هيرو الحساء.

هيرو: ما بالك تتكلمين بنغمة مريضة؟

بياتريس: أظن أنى لا أعرف ما عداها من النعمات.

مرجريت: لتغن بسرعة أغنية "نور الحب" فهذه لا تتطلب صوتاً خفيضاً. ما دمنا وحدنا لا رجال معنا، فغننا أنت، وأرقص أنا.

بياتريس: أغنية "نور الحب" بكعبيك الخيفتين. إذا كان زوجك يملك مرابط خيل كافية، فسوف ترين عندئذ أنه لن يفتقر إلى الأجران ولا يعوزه الولدان^(١)!

مرجريت: قول نغل، ومنطق فاسد، أركله ساخرة بكعبى.

بياتريس: كادت الساعة تؤذن الخامسة يا ابنة العم. وحان أن تستعدي. يمين الحق إننى جد مريضة، يا الله.. ألا من..

مرجريت: أتريدى صقراً، أو صافناً، أو صاحباً^(٢)؟

(١) هنا تورية قاسية من طراز شكسبير. فهو يريد أن يقول إذا كان زوجك يملك مرابط خيل كثير، أى القوى المقتر، فلن تعوز الولدان. أى سنلدين له كثيرًا منه ومن غير، والجناس هنا فى كلمة الأجران فهى فى كلمة الأجران فهى فى اللغة barns أى مخازن للعلف وهى أيضاً bairn أى ذرية وولدان.

(٢) جاء شكسبير بثلاث كلمات تبدأ كلها بالهاء وقد راعينا هذا فلم نجد بُدًا من إيراد ثلاث تبدأ كلها بحرف الصاد، واحتفظنا بالمعاني، فجعلنا صقراً و صافناً أى جواداً وصاحباً أى زوجاً، وردت بياتريس بكلمة مماثلة وهى بالهاء أيضاً.

- بياتريس: الحرف الذى تبدأ به جميعاً وهو الصاد صداع.
- مرجريت: إذا لم تكونى قد غيرت رأيك فلن يجدى الملاحين الاستهداء بالكواكب^(١).
- بياتريس: لست أدرى ماذا تريد هذه المغفلة.
- مرجريت: لا شىء ولكن الله يحقق لكل امرئ أمنيه.
- هيرو: لقد بعث الكونت إلى بهذا القفاز. إن له أرجاً ذكياً.
- بياتريس: إننى "ممتلئة" برداً يا ابنة العم، فلا أشم شيئاً.
- مرجريت: بكر و"ممتلئة"! نعم البرد الذى أخذته.
- بياتريس: سبحان الله. ومتى احترفت قول النكتة؟
- مرجريت: منذ تركته أنت. ألا تليق فكاحتى بى إلى حد يثير الإعجاب؟
- بياتريس: غير ظاهرة بالقدر الكافى... لخير لك أن تضعيها فى طرطورك^(٢). يمين الحق إننى الموعوكة.
- مرجريت: خذى قليلاً من الكارديواس بنيدكتس^(٣) المقطر واشربيه. إنه الدواء الوحيد الذى يفيد هذه النزلات المفاجئة.
- هيرو: إنك تخزينها بعلاج شائك^(٤).
- بياتريس: بنيدكتس! ولم بنيدكتس بالذات؟ إن لك فى وصفه معنى خفياً.
- مرجريت: معنى خفياً! كلا ويمين الحق، لست أقصد أى معنى خفى. إنما أعنى نبات المرار المقدس^(٥) ليس إلا. ولعلك تظنين أننى أظنك تحبين. كلا، ويمين العذراء، لست مغفلة إلى حد أننى أظن حقاً ما أسمع. أو أسمع لما فى إمكانى
-
- (١) فى الأصل إذا لم تتغلبى تركية، أى عنيدة كما يوصف الأتراك، فلا تقع فى حبك لبنيديك من تركه الظروف.
- (٢) كعادة المهرجين.
- (٣) على سبيل النكتة فقد استخدمت اسم دواء للزكام يتركب من كلمتين كارديواس نسبة إلى "كارد" وهو القلب. وبنيدكتس، وهى تشبه اسم بنيديك.
- (٤) تخزينها أى تشكيلها لأن الدواء الذى اقترحه عليها من النباتات ذات الأشواك أى هذه "غمزة" منها.
- (٥) هو النبات ذاته يوصف بأنه المقدس لأنه يستخدم فى الأعراس.

أن أظنه. ولا يمكننى أن أظن وإن شئت، أن أستنفد كل خاطرى فيما أظن . إنك تحبين أو ستحبين أو يمكن أن تحبى. ولكن أمر بنيديك مختلف فقد أصبح رجلاً وكان من قبل يقسم أنه لن يتزوج أبداً، فأضحى الآن على كره من قلبه، يأكل طعامه غير مغمغم ولا متبرم، ولست أدرى متى تتغيرين أنت وتتبدلين، ولكنى أظنك تنظرين بعينيك كما يفعل غيرك من النساء.

بياتريس: أية سرعة هذه التى ينطلق بها لسانك؟

مرجريت: ليست خبياً كاذباً.

(تعود أورشولا)

أورشولا: مولاتى. ادخلى. فقد جاء الأمير والكونت والسنيور بنيديك ودون جون. وجميع سادات المدينة ووجهائها ليصحبوك إلى الكنيسة.

هيرو: أعنى على ارتداء ثيابى يا ابنة العم العزيزة، ويا مرجريت المحبوبة ويا أورشولا الكريمة. (يخرجون).

المنظر الخامس

حجرة أخرى فى دار ليوناتو

يدخل ليوناتو، ومعه دوجيرى وفارجس

- ليوناتو: ماذا تريد منى أيتها الجار العزيز؟
- دوجيرى: وحق العذراء يا سيدى، أريد أن أسر إليك أمرًا يحضك عن قرب (١)
- ليوناتو: قل وأوجز ناشدك الله. فإننى كما ترى فى شغل شاغل.
- دوجيرى: حقًا إنه لكذلك يا سيدى.
- فارجس: نعم إنه لكذلك حقيقة يا سيدى.
- ليوناتو: وما هو يا صاحبى الكريمين؟
- دوجيرى: إن السيد فارجس "يشط" قليلاً فى كلامه. إنه شيخ كبير يا سيدى. وليس كليل (٢)
- الذكاء، كما أرجو له بعون الله. ولكنه والله صادق صريح كالجلدة التى بين حاجبيه (٣).
- فارجس: أى نعم، أحمد الله على أننى صادق، لا أقل صدقا عن أى إنسان حى، إذا كان شيخا كبيرا، ولم يكن أصدق منى.
- دوجيرى: المفاضلات عطرة (٤) فأوجز القول يا سيد فارجس.
- ليوناتو: أيتها الجاران. إنكما لتقيلان مملان.

(١) جاء شكسبير على لسان هذا الجاهل بكلمات محرفة وأخرى معكوسة أو بعيدة عن المعنى التى تحملها إبرازًا لمحاولته إظهار شيء من العلم والمعرفة، فهو يريد بقوله يحضك عن قرب "يخصك" عن قرب، أى وثيق الصلة بك.

(٢) يرد حاد الذكاء.

(٣) الظاهر أن الجناة حين تثبت إدانتهم كانوا يدمغون على الجلدة التى بين حاجبهم.

(٤) كلمة أخرى حرفها دوجيرى فى حرصه على التحلق.

دوجيرى : قد يسرك هذا القول يا مولاي، غير أننا رجلان مسكينان فى شرطة الدوق، ولكن فى الحق أنى لو كنت مملا كالملك ^(١). لهان على أن أنعم بهذا الملل كله على سيادتك.

ليوناتو: بكل ملالتك على أنا؟ أهذا ما تقول؟

دوجيرى : أى نعم. ولو كانت أكثر من قيمتها بألف جنيه ^(٢) فقد سمعت عن سيادتك من الاستصراح ^(٣) المستطاب بقدر ما سمعته عن أى رجل فى المدينة. وإنى وإن لم أكن سوى رجل فقير لفرح بما سمعته.

فارجس: وأنا كذلك.

ليوناتو: أتمنى أن أعرف ماذا تريدان أن تقولاه.

فارجس: يمينًا يا سيدى أن حراسنا قبضوا الليلة ^(٤) على اثنين من أشد المجرمى فى مسينا. خلا سيادتك ^(٥).

دوجيرى : إنه لشيخ كبير يا سيدى فلا تأخذه بما يقول. وفى المثل حين يقبل العمر، يدبر العقل ^(٦) كان الله فى عوننا. ويا عجباً للعالم وما فيها حقًا، لقد أحسنت القول والله يا سيد فارجس، الدنيا بخير ^(٧). وحين يركب اثنان حصانا، يتحتم أن يكون أحدهما رديفًا ^(٨)، إنه والحق يقال رجل صادق يا سيدى، كأى امرئ أكل خبزا، ولكن سبحان الله إن الناس ليسوا سواسية للأسف أيها الجار الكريم.

(١) نسب الإملال والسماجة إلى الملوك ثم أنعم بهما على ليوناتو.

(٢) يظهر أن ألف جنيه قد علقت فى ذهنه من التحقيق فهو يرددها هنا.

(٣) يريد من الشاء.

(٤) يقصد طبعًا الليلة الماضية.

(٥) يقصد "من غير مؤخدة" كما يقول العامة هنا. ولكنه ظن أن هذه العبارة هى المناسبة. وإن كان معناها أن ليوناتو هو أكبر المجرمين فى البلد.

(٦) أصل المثل "الخمير" فحرقها من اللام إلى الجيم فجاءت "العمر" والأصل مثل يضرب فى إظهار أثر الخمير فى الذهاب بعقل السكير.

(٧) فى الأصل على لسان هذا الجاهل "إنك رجل طيب" والمعنى الصحيح هو "الدنيا بخير كما خلقها الله".

(٨) أى أحدا يتكلم والآخر يسكت.

- ليوناتو: حقاً أيها الجار إنه ليقتصر عنك كثيراً.
- دوجيرى: إن الله هو واهب النعم.
- ليوناتو: لا بد لي من ترككما.
- دوجيرى: كلمة أخيرة يا سيدى. إن حراسنا قد أدركو (١) رجلين تحوم حولهم التشبيهاً (٢).
- وسنأتى بهما فى هذا الصباح للتحقيق أمام سيادتكم.
- ليوناتو: توليا أنتما التحقيق وارفعاه إلي. إننى فى عجلة شديد الساعة كما تريان.
- دوجيرى: حسبنا هذا (٣).
- ليوناتو: تناولوا شيئاً من النبيذ قبل أن تتصرفا. أستودعكما الله.
- (يدخل رسول)
- الرسول: مولاي. إن القول ينتظرونك لزفاف كريمتك إلى زوجها.
- ليوناتو: سأوافيهم. إننى مستعد.
- (يخرج ليوناتو والرسول)
- دوجيرى: اذهب أيها الزميل الكريم إلى فرانسييس سيكول واطلب إليه أن يحضر قلما ودواة إلى السجن. وسنتولى الآن التحقيق مع هذين الرجلين.
- فارجس: وعلينا أن نسير فيه بحكمة.
- دوجيرى: وأؤكد لك أننا لن ندخر فيه نكتة (٤) وسنذهلها ونقطع عليهما كل سبيل وكل ما عليك أن تحضر الكاتب القدير ليدون تقريراً عليك أن توافينى (٥) إلى السجن.
- (يخرجان)

(١) يرد أمسكوا.

(٢) يرد الشبهات.

(٣) يرد حسبنا هذا.

(٤) يرد حكمة.

(٥) نطق بها خطأ حتى جعلها تبدو بمعنى "الطرد" من الكنيسة أو الحرمان من المغفرة وكان يقصد البيان المكتوب أو التقرير.

الفصل الرابع

المنظر الأول

فى كنيسة

يدخل دون بدرو . دون جون . ليوناتو . القس فرانسيس

كلوديو . بنيدىك . هيرو . بياتريس . والحاشية

ليوناتو: أقبّل أيها القس فرانسيس وأوجز، فلا تتجاوز الصيغة المألوفة فى عقد القران.

واترك شرح واجبات الزوجين إلى ما بعد.

القس: هل جئت هنا يا مولاي لتتزوج هذه السيدة.

كلوديو: كلا.

ليوناتو: ليقترن بها أيها القس. وقد جئت أنت لتزويجها.

القس: هل جئت أيتها السيدة لتقترنى لهذا الكونت.

هيرو: نعم.

القس: إذا كان أحدكما يعرف عائقا خفيا يحول دون قرانكما فإنى أناشده بحق نفسه

عليه أن يفضى به.

كلوديو: هل تعرفين شيئاً كهذا يا هيرو؟

هيرو: كلا، يا مولاي.

القس: وهل تعرف أنت يا كونت؟

ليوناتو: أجتري فأرد عنه نافيا.

كلوديو: كم من امرئ يجتري على أن يفعل، وكم من رجل يجوز له أن يفعل، وكم من

أناس فى كل يوم يفعلون. وهم لا يعلمون أنهم يفعلون.

بنيدىك: ما هذه الألفاظ كلها؟ إن بعضها أشبه بعلامات الضحك. كقولك آه.. ها.. هي!

كلوديو: تتح قليلاً أيها القس. ودعنى أسالك يا أبى ^(١) هل أنت واهبى هذه العذراء ابنتك

بنفس طائعة مختارة؟

(١) هو الرجل الذى كان مفروضاً أن يصبح "حميه".

ليوناتو: كما وهبنيها الله بمشيئته ورضاه.

كلوديو: وماذا تسألني لقاءها، حتى يتكافأ وهذه الهبة النفيسة الغالية؟

دون بدرو: لا شيء إلا أن تردّها إليه.

كلوديو: أيها الأمير العزيز، إنك تعلمني نبل العرفان بالجميل، أي ليوناتو. خذها. ولا تعط صديقاً لك هذه البرتقالة العفنة. فليس عليها من شرف العذراء غير مظاهره. انظر إليها كيف يتورد محياها خجلاً يا لله! ما أقدر الخطيئة النكراء، على إخفاء ذاتها بميسم الصدق أليس هذا الحياء على الطهر والنقاء دليلاً متواضعاً؟ وأنتم يا من تنظرون إليها ألا تقسمون إنها لعذراء، حين ترون هذه المظاهر الخارجية؟ ولكنها ليست كذلك. لقد عرفت حرارة الفراش ودفء المضجع، وليس تورّد وجهها حياءً، بل استنكافاً من جرمها واستخذاءً.

ليوناتو: ماذا تعنى بهذا يا مولاي؟

كلوديو: أعنى أنني لن أتزوج. ولن أربط روعي بامرأة آثمة ثبت الجرم عليها.

ليوناتو: إذا كنت يا مولاي العزيز بمالك من قوة الحجة قد استطعت أن تتغلب على مقاومة شبابها وهزمت عذرتها.. فإن...

كلوديو: أعرف ماذا كنت قائلاً لو أنني عرفت من قبل وخبرتها. سنقول إنها اعتنقتني بوصفي زوجها وفي هذا ما يخفف من إثم التعجل ليس الأمر كذلك يا ليوناتو، فما أغريتها يوماً بكلمة عوراء، بل رحمت كأخ لأخته أبدى لها الإخلاص الحى والحب النقي.

هيرو: وهل كنت يوماً غير ذلك نحوك؟

كلوديو: سحفاً لك. أيها الرياء. لأكتبن عنك ^(١) ولأنددن بك. إنك لتظهرين شبيهة بديانا في فلكتها ^(٢) وفي مثل نقاء الزهرة في كمها، قبل أن تهب عليه الأنفاس. بل إنك

(١) هكذا في الأصل، ومعناها سأفضحك أو أندد بك.

(٢) إشارة إلى "ديانا" ربة العفاف وهي هنا تمثل القمر في دورانه حول الأرض وهي في أساطير الإغريق ابنة الإله زئس وشقيقة أبولو وهي عذراء يعبدها العذارى وبحرسن على عذرتهن حتى يتزوجن.

لأحر دما من فينوس ^(١)، وأطغى بهيمة من تلك الحيوانات المرفهة، التي تحتم الشهوة فيها احتداما.

- هيرو: هل مولاي سليم وهو يتكلم على هذا النحو البعيد من الصدق؟
- ليوناتو: أيها الأمير الكريم. لماذا لا تتكلم؟
- دون بدرو: ماذا أقول؟ إننى أقف الآن مثلوم الكرامة، وأنا الذى سعيت فى ربط صديقى العزيز بامرأة لا شأن لها ولا قدر.
- ليوناتو: أسمع حقا. أم أنا فى حلم.
- دون جون: إنك تسمع، وأن ما تسمعه لحق.
- بنيديك: ليس هذا من مظاهر العرس.
- هيرو: حقا.... رياه!
- كلوديو: أى ليوناتو. أترانى فى هذا المكان واقفا؟ وهل هذا هو الأمير وهل هذا أخوه؟ وهل هذه وجه هيرو. وهل هذه حقا أعيننا؟
- ليوناتو: كل هذا صحيح. ولكن ماذا تعنى يا مولاي؟
- كلوديو: دعنى أوجه سؤالا وأحدأ إلى ابنتك، وأمرها بحق سلطانك الأبدى الرفيق عليها أن تجيب عنه صدقا.
- ليوناتو: أمرك وأنت ابنتى أن تفعلى.
- هيرو: رب خذ بيدي. فقد أحيط بى. بأى اسم تدعو هذا الاستجواب؟
- كلوديو: أريد أن أحملك على جواب صادق يكشف عن اسمك.
- هيرو: أليس اسمى هيرو؟ فمنذا الذى يستطيع أن يدنسه بمعاب صحيح.
- كلوديو: ذلك ما تستطيعه هيرو نفسها. فهى التى تستطيع أن تمحو شرفا. خبرينى من ذلك الذى كان يتحدث إليك ليلة أمس؟ تحت نافذتك بين الثانية عشرة والواحدة؟ إن كنت حقا عذراء فأجبنى.

(١) ابنة جوبيتر، وقد رسمها الرسامون فى صورة من الحسن الباهر وهى أم كيونيد إله الحب ومن لوازمها اليمامة والخطاف والرجانة والورود والتفاحة.

هيرو: لم أتحدث إلى أحد في تلك الساعة يا مولاي.

دون بدرو: أنت إذن لست عذراء. يا ليوناتو يحزننى أن أنبئك مقسما بشرفى وشرف أخى وشرف هذا الكونت الكليم المحزون إننا رأيناها وسمعناها فى تلك الساعة من الليلة البارحة تكلم وغدا مجرما من نافذة مخدعها، وقد اعترف فعلاً شأن السافل المستهتر، باللقاءات الأثيمة التى جرت سرا بينهما مئات المرات.

دون جون: العار. العار! إن هذه اللقاءات لا تحصى يا مولاي ولا توصف، فليس فى اللغة من العبارات العفة، ما يكفى المرء من غير سوء أن يفوه بها، إننى لأسف أيتها السيدة الحسنة، لهذا المسلك الأثيم الذى سلكته.

كلوديو: أى هيرو، لقد كنت تروحين سما على مسمى^(١) لو أن نصف هذا الجمال الظاهر الذى أوتيته، أحيط بدوافع قلبك وخوالج فؤادك! ولكن سعدت حالا يا من جمعت بين أشد الدنس، وأبهى الحسن. وداعاً أيها الدنس النقي، وداعاً أيها النقاء الدنس^(٢) فى وجهك سأغلب جميع أبواب الحب. وعلى أجفانى سأعلق الريبة، حتى أرى كل جمال أذى وضرا، فلن أفتن به يوماً.

ليوناتو: ألا من خنجر هنا أغيبه فى هذا الصدر؟

(يغمى على هيرو)

بياتريس: ما هذا يا ابنة العم، ولماذا تخرين مغشياً عليك؟

دون جون: هلموا بنا إن الأمر قد وضح. فخنق أنفاسها خنقاً.

(يخرج دون بدرو ودون جون وكلوديو)

بنيديك: ماذا بها....؟

بياتريس: أحسبها قد ماتت. الغوث يا عماه.. هيرو، هيرو..! عماه.. سنيور بنيديك أيها القس...

ليوناتو: أيها القدر، لا تنزع يدك الثقيلة الداهمة عنها. إن الموت خير سائر لعارها، وأحسن غطاء تنمناه لها.

(١) هيرو معناها "البطل" وموثها البطلة أى كان منتظراً أن تكونى اسماً على مسمى.

(٢) من باب القلب كقولهم "كلام الملوك ملوك الكلام".

بياتريس: ... هيرو ابنة العم، ماذا الذى دهاك؟ أفيقى.

القس: روحى عنك يا سيدة ولا تراعى.

ليوناتو: أتفيقين؟

القس: أجل، ولم لا؟؟

ليوناتو: لم لا؟؟ ألا ترى أن كل شىء فى الأرض ينادى بعارها؟ أتستطيع أن تتكرر

القصة التى طبعها العار على وجهها؟ لا تحبى يا هيرو ولا تفتحى عينيك. ولو كنت أظن أن الموت غير معاجلك، وكان فى حسابى أن روحك أقوى من عارك، لانتزعت بنفسى الحياة منك انتزاعاً، عقب ما وجهه إليك من تأنيب. واحزني. ووافجيعتي. وليس لى إلا ابنة واحدة، أفأعيب على الطبيعة بخلها! أواه. إن واحدة من طرازك لكثير؟ لما رزقت واحدة؟ ولماذا كنت على الدهر جميلة فى عيني؟ ولماذا لم يقدر لى رحمة وإحساناً، أن أكون السائل المتكفف عند بابي؟ أنا الذى تلوث على هذا النحو عرضه! وتلطخ بالعار اسمه! لقد كان فى إمكانى أن أقول. إنها ليست فى شىء منى. وإن إثمها جاء من صلب مجهول. ولكنها ابنتى التى أحببت وأعززت، ابنتى التى أشدت بها ونوهت. وفاخرت بها الناس وباهيت. إنها منى بل أكثر. حتى لقد ذهبى فى الغلو بقدرها، أحسب نفسى ليست لنفسى. وإننى لا أملك لذاتى بعدها شيئاً. فإذا هي، أواه، إذا هى تتردى فى هوة من مداد، إذا أريد منه تطهيرها لنفد البحر قبل أن تطهر منه. ولما كفى ملح البحر لتطهير لحمها الملوث.

بنيدىك: سيدي. سيدي. صبراً. بعض هذا الحق. إننى من فرط العجب لا أدرى ماذا أقول.

بياتريس: أواه.. ونفسى التى بين جنبى أن ابنة عمى ضحية إفك وافتراء.

بنيدىك: هل كنت ليلة أمس يا سيدتى نائمة معها فى فراش واحد؟

بياتريس: كلا... فى الحق. وإن كنت طيلة هذا العام أرقد معها إلا الليلة الماضية فلم أفعل.

ليوناتو: لقد حصص الحق... إن هذا ليزيد الحجة قوة، وإن كانت من قبل قد سيجت بقضبان من حديد، أفيكذب الأميران، ويفترى عليها كلوديو، الذى أحبها الحب

كلها، ورواح فى الحديث عن رجسها يغسله بالدموع، ألا بعدا لها.. دعوا الموت يحترمها.

القس:

استمع لى هونا ما. فقد اعتصمت بالصمت كل هذه اللحظة، وتركت المقادير تجرى فى أعنتها. لقد لاحظت وأنا أرقب حركاتها وسكناتها، أطيافا من حيا تتوارد على وجهها، وأخرى بريئات فى مثل بياض وجوه الملائكة، تغالب ذلك الخجل وتلاشيه، ثم بدت فى عينيها شعلة نار تحرق الإفك الذى أقامه هذان الأميران على صدق عذرتها. فلتدعنى مغفلا ولا تثق بما قرأته. ولا تركن إلى ملاحظاتي التى طبعتها التجارب بخاتمها مؤكدة صدق قراءتى. ومضمون حكمتي. لا تثق بكبر سنى ومركزى. وقدسية معرفتى. إذا لم تكن هذه السيدة الحسنة بريئة من الإثم، ولكنها ضحية خطأ أليم.

ليوناتو:

لا يمكن أن يكون الأمر كذلك أيها القس. ألا ترى أن الكفارة الوحيدة التى بقيت لها أنها لا تضيف إلى إثمها إثمًا آخر، وهو القسم زورا. أنها لم تنكر. فلماذا تريد أنت أن تستر بالأعدار ما بدا فى صورته الحققة؟

القس:

سيدتى. أى رجل هذا الذى تتهمين به؟

هيرو:

يعرفه الذين اتهمونى. أما أنا فلا أعرف أحداً ولو عرفت عن أحد من الأحياء أكثر مما يبيحه حياء العذارى، فلتنأ الرحمة عن كل خطاياى. أبت إن ثبت لك أنى تحدثت مع رجل فى ساعة لا يسوغ فيها الحديث، أو أنى تبادللت ليلة أمس الكلام مع مخلوق. فابراً منى وامقتنى، وعذبنى حتى أموت.

القس:

أحسب الأمراء قد وقعوا فى خطأ عجيب.

بنيديك:

إن منهم اثنين هما مثال النزاهة والشرف، فإن أخطأهما الصواب فى هذا الأمر وضلا سبيل الحكمة، كان هذا الكبد من تدبير جون النغل. الذى دأبت نفقسه على الشر.

ليوناتو:

لست أدرى، ولكن إذا كان الحق ما قالوا عنها فسأقطعنها بيدي إربا. أما إذا كانوا فيما تناولوا به شرفها ظالمين؛ فوا الله لأحاسين أشدهم اعتدادا بنفسه وأكثرها كبرياء، إن الزمن لم يجفف بعد الدم الذى يجرى فى عروقى. وتقدم السن لم يسند منى حيلتي. ولا الأقدار أتلفت مواردى. ولا العيش المرسل على عواهنه أفقدنى أصحابى. لسوف يرون قوة البدن. وأصالة العقل، حين يستيقظان

فى ربل ملى. ولسوف يشهدون مقدره الموارد، وخيرة الصحب والمناصرين.
كيف تتأثر لى أشد الثأر من المتجنين والظالمين.

القس:

مهلاً، ودع نصيحتى تهدك فى هذا الأمر سواء السبيل لقد انصرف الأمراء وهم
يحسبون ابنتك قد ذهبت فى الهالكين، فاحتجزها سرا عن الناس إلى حين،
وأعلن على الملأ أنها قد ماتت حقاً واصطنع عليها حدادا. واقم على مقبرة
عشيرتك رثاء لها يروح على مماتها شهيدا، واحتفل بالدفن احتفال الأحياء
بالموتى، مراسم وطقوساً عادداً...

وما أثر ذلك وما جدواه؟

ليوناتو:

القس:

يمينا إن هذا سيحيل الوشاية، إلى ندامة، إذا أتقنت الحيلة وفى هذا التحول
بعض الخير، ولكن ليس هذا السبيل الغريب هو الذى أرمى إليه، بل الذى أرجوه
من وراء هذا الجهد الشاق أكبر من ذلك شأنًا، وأبعد منه مدى، إن موتها فى
اللحظة التى اتهمت فيها، إذا أحكمتهم إعلانها، سيحمل السامعين على التفجع
عليها، والرثاء لها، واستماعة المعاذير عنها. فقد جبل الناس على أن ما تملكه
لا نعرف قيمته، ما دمنا نعم بمتعته. فإذا انتزع منا وفقدناه، عرفنا له يومئذ
قدره، وبدا لنا فضله وخطره. وكنا من قبل وهو فى أيدينا بقيمته جاهلين.
وسيكون هذا حال كلوديو، حين يسمع بأنها مات من أثر أقواله، فلا تلبث
صورتها قبل الممات أن تتسلل برفق إلى خياله، وإذ تبدو له كل معالم جمالها
فى الحياة فى صورة أجمل وأعلى مظهرًا، وتتمثل لعين نفسه وخاطره، أفتن وأرق
أثرًا مما كانت وهى فى عالم الحياة، وعندئذ سيحزن عليها إن كان للحب مكان
فى جوانحه، ويتمنى لو أنه لم يتهمها بمثل ما اتهمها به. وإن اعتقد أن الاتهام
كان حقًا، فافعل كما أشرت، ولا تشك فى أن ما سوف يحدث بعدئذ، سيشكل
النتيجة خيرًا مما أستطيع أن أصورها أنا. أما إذا أخطأنا التوفيق فى كل ما عدا
هذا، فإن تصور ميبتها، سيروى ظمًا العجب من سوء فعلتها. فإذا لم تأت
النتيجة كما نتمنى، فلك أن تخفيها فى معزل أو متبتل^(١) تضمد فيه جرح
سمعتها، بعيدًا عن الأعين والألسنة والأذهان ومساءة المسيئين.

(١) أى دير.

بنيديك: خذ يا سنيور ليوناتو بنصيحة القس، وإنك لتعلم خبيثة نفسى وحبى للأمير وكلوديو. ولكنى أقسم بشرفى أننى معالج هذا الأمر سرا وعدلا كما تعامل روحك جسديك.

ليوناتو: لقد هدنى الأسى هدا، حتى ليقودنى الطفل الصغير.

القس: اتفقنا . فلننصرف فى الحال، ومن يطلب لغرائب شفاء، فليتمس لها جهد الطاقة الدواء. وأنت يا سيدتى هلمي، اطلبى الموت توهبى الحياة، ومن يدري، ففعل هذا العرس مرجأ إلى حين، فاصبراً وتجلدا (١).

(يخرج الجميع إلا بنيديك وبياتريس)

بنيديك: أى بياتريس . هل كنت تبكين كل هذه الفترة؟

بياتريس: أجل وسيطول بكائى.

بنيديك: لا أريد ذلك.

بياتريس: ليس لك حق . إننى أفعل ذلك باختيارى.

بنيديك: أعتقد يقينا أن ابنة عمك الحسناء مظلومة.

بياتريس: كم يستحق عنى الرجل الذى يستطيع أن ينصفها.

بنيديك: هل من سبيل إلى إظهار هذه الصداقة؟

بياتريس: السبيل جلية واضحة، ولكن أين الصديق؟

بنيديك: هل يستطيع رجل أن يتولاه؟

بياتريس: إنه عمل رجال، ولكنه ليس عمك.

بنيديك: لست أحب فى هذا العالم شيئاً قدر حبى لك،

بياتريس: أليس هذا غريباً؟

(١) هذا القس يشبه زميله فى رواية "روميو وجولييت" فقد أعطى هذا جولييت دواء يحدث غيبوبة إلى حين رثما يعود إلى القبر فيوقظها منه ولكنه جاء بعد مصرع حبيبها. وفى هذه الرواية شىء كثير يكاد يشبه ما فى الرواية الأخرى التى كتبها شكسبير قبل هذه بقليل.

بياتريس: غرابة الشيء الذى لا أعرفه (١). لقد كان فى مقدورى أن أقول إننى لا أحب شيئاً قدر حبى لك . ولكن لا تصدقنى وإن كنت لا أكذب، ولست أعترف بشيء، ولا أنكر شيئاً إننى فى أسف على ابنة عمى.

بنيدىك: أقسم بسيفى يا بياتريس إنك تحبيننى.

بياتريس: لا تقسم به، بل أبلعه.

بنيدىك: أقسم به إنك تحبيننى، وأدفعه فى حلق من يقول إننى لا أحبك.

بياتريس: أو لن تبتلع كلامك؟

بنيدىك: لم يصطنع بعد المرق الذى يطبخ به، إننى أقر أننى أحبك.

بياتريس: إذن ليغفر لى الله!

بنيدىك: أى ذنب جنيته أيتها الحسناء بياتريس ليغفره؟

بياتريس: لقد أخرتلى لحظات هنية، فقد كدت أقر أنى أحبك.

بنيدىك: أقرى به من كل قلبك.

بياتريس: أحبك حبا ملك على كل قلبى. فلم يترك منه شيئاً ليقره.

بنيدىك: مرينى أفعلى شيئاً من أجلك.

بياتريس: أقتل كلوديو.

بنيدىك: ها! هذا محال. ولو أعطيت العالم كله.

بياتريس: إنك برفض سؤالى تقتلنى.. وداعاً!.

بنيدىك: مهلاً.. بياتريس الحلوة.

بياتريس: لقد ذهبت، وإن كنت هنا. ليس فى فؤادك حب لى.. أناشذك دعنى أذهب.

بنيدىك: بياتريس!

بياتريس: يميناً لأذهبن عنك.

بنيدىك: لنكن صديقين أولاً.

(١) تعنى حبها له.

بياتريس: أيسر لك أن تكون لى صديقاً من أن تقاثل من أجلى عدواً لى؟

بنيدىك: وهل كلوديو عدوك؟

بياتريس: ألم يثبت أنه أوغد الأوغاد؟ أن قذف ابنة عمى فى عرضها، ليتتى كنت رجلاً!

يا للنكر! أكذلك يأخذها بيدك إلى الموضع الذى سيطلب فيه يدها؟! وعندئذ يوجه علانية التهمة إليها. يا للفضيحة السافرة! ويا للحقد الشديد.. رياه. لو أنى كنت رجلاً. لأكلت قلبه على الملاً أكلا.

بنيدىك: استمعى إلى يا بياتريس.

بياتريس: تتحدث إلى رجل من النافذة! ما شاء الله! قول صادق (١).

بنيدىك: ولكن يا بياتريس..

بياتريس: واه! لهيرو الحساء. لقد ظلمت وافترى عليها وهدمت هما.

بنيدىك: بياتريس..

بياتريس: أمراء وأشراف. ومن ذا يجادل فى شهادة أمير، ويدحض قول كونت؟ كونت

حلاوة (٢)؟ رجل حلو، شهم حقاً.. أواه.. لو كنت رجلاً من أجله أو كان لى فى الصحاب من يكون رجلاً من أجلى، ولكن الرجولة قد استحالت انحناءات، وانقلب الرجال ألسنة، لا تقول إلا متلطفة. وانقلبت الشجاعة ملقاً، وزخرفاً، واستحال الناس ألسنة، وألسنة مزخرفة. وأمسى الشجاع فى مثل شجاعة هرقل من يكذب، ويحلف إنه لصادق. وهيهات أن أكون رجلاً بمجرد أمنية، فلأمت إذن امرأة زاهبة النفس حسرة وبكاء..

بنيدىك: بياتريس. مهلاً. أقسم بهذه اليد التى أمدتها إنى أحبك!

بياتريس: استخدمها من أجل حبى فى شيء آخر غير الحلف بها.

بنيدىك: هل تعتقدين فى أعماق نفسك أن الكونت كلوديو قد ظلم هيرو؟

بياتريس: نعم. إنى لعلى يقين بهذا كيقينى بنفسى التى بين جنبى.

(١) تردد التهمة متهمكة ساخرة.

(٢) تقول هذا سخربة وكل ما تقوله الآن عنه سخربة لاذعة ولهذا أردت فى وصفه التهكمى قولها "رجل حلو" حقاً.

بنيديك:

حسبى هذا مبررا.. لك إذن عهدى، وإنى لمبارزة، دعيني ألتئم راحتك ثم
أنصرف. وحق هذه اليد (١) لأحاسبن كلوديو حسابا عسيرا. وليكن ظنك فى
قائما على ما تسمعيه عني. اذهبي لتواسى ابنة عمك، لا بد لى أن أقول إنها
قد ماتت. والآن. وداعًا..

(يخرجان)

(١) يدها هي.

المنظر الثانى

السجن

يدخل دوجير وفارجس والكاتب (١) وهم فى أرديتهم.

والحرس ومعهم كونراد وبوراشيو

- دوجيرى : هل اكتمل عقد شتاتنا.
- فارجس: مقعدا ووسادة لحضرة الكاتب.
- الكاتب: ومن الجنة؟
- دوجيرى : أقسم إنهما أنا وزميلي هذا.
- فارجس: هذا مؤكد.. نحن الذين أذن لنا أن نتولى الاستجواب.
- الكاتب: ولكنى أسأل من الجنة الذين يراد استجوابهم. أحضروهم أمام حضرة الضابط.
- دوجيرى: نعم أحضروهم أمامى. ما اسمك يا صاح.
- بوراشيو: بوراشيو.
- دوجيرى: اكتب من فضلك اسمه . بوراشيو. وأنت يا مولاي؟
- كونراد: أنا سيد يا حضرة.. واسمى كونراد.
- دوجيرى: اكتب . الرئيس السيد كونراد. اسمع أنت وصاحبك هل تخدمان الله؟
- كونراد: (معا) نرجو ذلك يا سيدى
- بوراشيو:
- دوجيرى: اكتب. إنهما يرجوان أن يكونا فى خدمة الله. وأبدأ بالله أولا. ومعاذ الله يتقدم عليه هذان الشقيان. يا أيها السيدان. لقد ثبت فعلاً أنكما لا فرق بينكما وبين الأوغاد الخائنين . وهذا ما سيظهر عاجلا، فما أقوالكما؟
- كونراد: أقوالنا يا سيدى أننا لسنا كما وصفت.

(١) دعونه الكاتب ولكنه فى الأصل "الفندلفت" أو المنوط بالقناديل.

دوجيرى: ألا ما أعجب ذكاءك سأعرف كيف أحيط به. تعال هنا أيها الإنسان أسر إليك كلمة؛ لقد قلت إنكما وعدان خائنات.

بوراشيو: وأنا أقول لك إننا لسنا كذلك.

دوجيرى: إذن.. قف فى ناحية. والله إنهما لمتفقان على كلام واحد يقولانه. هل كتبت عندك أنهما كذلك.

الكاتب: ليست هذه هى طريقة التحقيق. إن عليك أن تحضر الحراس الذين اتهمومها.

دوجيرى: أى والله. هذه أيسر طريقة. أحضروا الحرس فى الحال. أيها الحرس أطلب عليكم باسم الأمير أن توجهوا الاتهام إلى هذين الرجلين.

الحارس ١: إن هذا الرجل يا سيدى قال إن دون جون أخا الأمير، وغد أقيم.

دوجيرى: اكتب أن الأمير جون وغد أقيم. هذه وحدها خيانة صريحة. أفتصف أخا الأمير بالوغد.

بوراشيو: يا حضرة الضابط..

دوجيرى: أرجوك يا حضرة... أن تسكت وأؤكد لك أن نظراتك لا تعجبني.

الكاتب: وماذا سمعته يقول أيضاً.

الحارس ٢: سمعته والله يقول إنه أخذ ألف دوقية من دون جون لاتهام السيدة هيرو ظلماً.

دوجيرى: مؤامرة صريحة ما بعدها مؤامرة.

فارجس: وحق عشاء الرب إنها لكذلك.

الكاتب: وماذا أيضاً.

الحارس: وأن الكونت كلوديو أقسم بشرفه أنه سيظهر بهيرو أمام الجمع كله، وأنه لن يرتضيها زوجاً له.

دوجيرى: يا للشقي. سيحكم عليك بعقاب مؤبد نظير هذا القول.

الكاتب: وماذا أيضاً؟

الحارس: هذا هو كل شىء.

الكاتب: وهو أيها السيدان أكثر مما تستطيعان إنكاره، فإن الأمير جون غادر البلد خفية فى صباح اليوم. واتهمت هيرو فعلاً على هذا النحو، ورفض القران بها، على

هذه الصورة، فعاجلها الموت فجأة من فرط الحزن. يا حضرة الضابط مر بشد وثاق هذين الرجلين، واستيقاهما إلى دار ليوناتو وسأسبقك إليه لأعرض التحقيق عليه (يخرج).

دوجيرى : هيا أوثقوهما.

فارجس: وضعوا الأغلال فى أيديهما.

كونراد: بعدا لك أيها المأفون.

دوجيرى : لى الله. أين الكاتب ليدون قوله عن خادم الأمير مأفون. هلموا شدوا منهما الوثاق.. أيها الوغد الأثيم.

كونراد: بعدا لك.. إنك لحمار.. إنك لحمار.

دوجيرى : ألا تحترم مركزي، ألا توقر سني. ليت الكاتب هنا ليكتب أنى حمار. ولكن تذكروا يا سيادة أننى حمار وإن لم يدون هذا فى المحضر. لا تنسوا أننى "حمار". كلا أيها الشقى إنك لملء ثوبك شرا وغدرا، وسيثبت ذلك عليك بأقوال الشهود الصادقين، إننى رجل عاقل، وأكثر من هذا ضابط، بل أكثر من ذلك رب بيت، وأكثر من أولئك إنسان مهذب كخير من احتوتهم مسينا. ورجل يعرف القانون. وميسر الحال، دعنى أقل لك، وامرؤ كسب فى حياته وخسر. وله دراءان لا رداء واحد. وعنده كل ما يسر ويرضى هلموا خذوه... ليتنى كتبت فى المحضر "حمارا"

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الأول

أمام دار ليوناتو

يدخل ليوناتو وأنطونيو

أنطونيو: إنك لمود بحياتك إذا استرسلت على هذا النحو، وليس من الحكمة أن تعين الحزن على نفسك هكذا.

ليوناتو: أناشذك أن تكف عن نصحك، لأنه يقع فى أذى موقع الماء فى الغريال لا يجدى شيئاً، لا تتصحنى ولا تحاول أن تسرى عنى. وجئنى بمن تشبه فجيعة فجيعتى، جئنى بأب أحب ابنته حبى، وكان فرجه بها عظيماً مثل فرجى، ودعه يحدثنى عن الصبر، ويقس مصابه طولاً وعرضاً بمصابى، ويوازن بين حزنه وحزنى، وخطبه وخطبى. من كل ناحية، ووجه. وشكل. وصورة. فإن رأيتيه بيتسم. ويمسك بلحيته^(١) ليتكلم فقل عندئذ للحزن توار. واطلب إلى الأسى أن يزول. فإن شهدته يئن أنينا، فخفف الحزن عنه بالحكم والأمثال. واغمر أصحاب الخطوب الكبار بأقوال العاكفين على الكتب ليل نهار. فتأتى به إن استطعت لآخذ عنه الصبر، ولكن هذا الرجل لا وجود له. لأن الناس يا أذى ينصحون ويواسون فى الخطوب التى لا يشعرون هم بها. فإذا ذاقوا من صابها انقلبوا ثائرين، وكانوا من قبل يقدمون الحكم والمواعظ علاجاً من كربتها. وما مثلهم فى هذا إلا كمثل من يقيد المجنون الهائج بخيوط من حرير. ويزيل الألم بالنفخ فيه، ويعالج العذاب الأليم باللفظ. كلا. كلا. لقد جبل الناس جميعاً على التحدث عن الصبر على من ينوعون بحمل الأسى. ولكن هيهات لامرئ أن يسدى هذه النصائح إذا هو نفسه ذاق المصاب. فلا تتصحنى إذن. إن أحزاني أجهر صوتاً من النصائح.

أنطونيو: لا فرق إذن بين الرجال والأطفال.

ليوناتو: أناشذك أن لا تكلمنى. إننى إنسان من لحم ودم. وما رأينا يوماً حكيماً استطاع أن يحتمل ألم الضرر صابراً. وإن شهدنا الفلاسفة والحكماء يكتبون أروع الكتب ويتوخون أبدع الأساليب، ويستخفون بصروف الدهر والأحزان.

(١) حركة يؤديها المرء حين يشعر بأنه قد اهتدى إلى كلام بديع سيقوله.

أنطونيو: ولكن لا تلق التبعة كلها على كاهلك وحدك، بل دع الذين ظلموا يحملوا منه نصيبهم كذلك.

ليوناتو: ها أنت ذا تقول حقا. أجل. إني لفاعل. فإن نفسى تحدثنى أن هيرو قد ظلمت. وسيعلم هذا كلوديو، وسيعرفه الأمير وجملة الذين افتروا عليها وثلموا عرضها.

أنطونيو: ها هو ذا الأمير وكلوديو قادمان مسرعين.

(يدخل دون بدرو وكلوديو)

دون بدرو: طاب صباحك. طاب صباحك.

كلوديو: طاب يومكما جميعاً.

ليوناتو: استمعا إلى أيها الأميران.

دون بدرو: إننا فى عجلة، يا ليوناتو.

ليوناتو: فى عجلة يا مولاي. أدعو لك بالتوفيق يا سيدو، متعجلان الآن. هذا شىء لا يهمنى.

دون بدرو: لا تشتجر معنا أيها الشيخ الكريم.

أنطونيو: لو استطاع بالشجار أن ينتصف لنفسه. لهوى بعضنا من عليائه.

كلوديو: ومن الذى ظلمه؟

ليوناتو: قسما إنك أنت الذى ظلمتتى. أيها المرائى.. أيها.. حذار.. لا تضع يدك على مقبض سيفك. فإنى أخافك.

كلوديو: شلت يمينى. إن هى أخافت شيخا فى مثل سنك، يمين الله، ما أرادت كفى، أن تصنع شيئاً لسيفى.

ليوناتو: أف لك يا رجل. أفل لك. وحسبك لا تسخر منى ولا تهزأ بي. فإنى لست فيما أقول مخرفا وما أنا بمأفون. ولا أنا بمستغل سنى للتفاخر بما فعلت فى الفتوة والشباب، أو أستطيع فعله لو لم أكن شيخا مسنا. إلا فاعلم يا كلوديو صراحة، أنك ظلمت ابنتى البريئة وظلمتتى وإننى لمضطر أن أطرح وقار سنى جانباً، وأدعوك للمبارزة وإن كان رأسى قد اشتعل شيباً، وإن كنت قد تلقيت كثيراً من الجراح. أكرر القول إنك قد ظلمت ابنتى البريئة، ومزقت بإفكك قلبها تمزيقاً.

فهى الساعة ترقد إلى جانب آبائها، فى قبر ما رقدت فيه الفضيحة يومًا من الأيام، خلا هذه الفرية التى نسج الكيد لها الخيوط!

كلوديو: كيدى أنا؟

ليوناتو: أجل. كيدك أنت يا كلوديو، كيدك أنت.

دون بدرو: أخطأت الصواب أيها الشيخ.

ليوناتو: مولاي. مولاي. سأثبت صدق قولى فوق جثته، إذا هو اجتراً على مناجزتى، رغم براعته فى فنون المجالدة، ودريته الطويلة عليه، وريع شبابه، وعنوان بأسه.

كلوديو: أغرب عنى. ليس لى بك شأن.

ليوناتو: أترؤ على تنحيتي؟ لقد قتلت ابنتى، فإن تقتلنى يا فتى تقتل رجلاً.

أنطونيو: بل سيقتلنا نحن الاثنين. أو سيقتل رجلين حقًا. ولكن هذا ليس بأمر ذى بال، دعه يقتل أحدنا أولاً، خذنى وألبسنى^(١). دعه يبرز لى. أقبل يا غلام واتبعنى. هلم يا سيدى الغلام. اتبعنى. فإنى سائطك من عليائك فمرديك^(٢) أى والله إنى لفاعل، فعلة الرجل المهذب الشريف.

ليوناتو: أذى...

أنطونيو: هدى روعك. الله يعلم كم أحببت ابنة أذى. فجاء الكيد الخسيس فقتلها. كيد الأوغاد اللئام، فليجرؤ على الخروج لرجل، جرأتى على الإمساك بثعبان من لسانه، يا للصبيان، ويا للقردة، ويا للمتباهين، والمهاذير والبله الأغبياء الضعفاء..

ليوناتو: أذى أنطونيو..

أنطونيو: لا تثر.. تكلم يا رجل، إنى أعرفهم، وأعرف موازينهم، وأقدارهم، إلى أصغر أجزاءها، إنهم غلمة مغرورون صفيقو الوجوه، إخوان حذقة وزخرف، كل همهم

(١) يظهر أن هذا مثل كان معروفًا فى تلك الأيام، وهو مركب من فعلين من أفعال الأمر يبدأ كل منهما بحرف (w) ويقابلها فى العربية حروف "و". ولعله يقال فى معرض "التحدى" أى أن كنت ماهرًا فلتجرب أولاً يكف تتالنى، ثم افعلى بعد ذلك ما تشاء.

(٢) فى الأصل جاء شكسبير هنا باصطلاح كان معروفًا يومئذ فى فن اللعب بالسيف ولعل المراد به من موقف التحصن الفنى الذى ستقفه وهى تهكم من أنطونيو ببراعته.

الكذب والمين والسخرية والدس والكيد، إنهم ليمشون بين الناس مهرجين، ويكثرون من التهديد والوعيد، ويتحدثون عن شجاعتهم فى منازل الخصوم، ومقارعة الأعداء إذا جرءوا على لقاءهم، هذا هو كل ما عندهم.

ليوناتو ولكن ياخى انطونيو.....

انطونيو لا تراع. ولا تتدخل. دعنى لهذا الأمر وحدى.

دون بدرو: أيها السيدان.. لن نستفزكما. إن فؤادى لمحزون لموت ابنتك. ولكنى أقسم بشرفى أنها لم تتهم، إلا بما وقع حقاً . وقام عليه الدليل القاطع.

ليوناتو: مولاي! مولاي!

دون بدرو: لن أستمع لك.

ليوناتو: لن تستمع لى. هلم يا أخی. سأعرف كيف أسمعها قولى!

انطونيو: وسيستمع أو ليهلكن بعضنا لهذا السبب

(يخرج ليوناتو وانطونيو)

دون بدرو: انظر. انظر! ها هو ذا الرجل الذى كنا نبحت عنه.

(يدخل بنيديك)

كلوديو: ما وراءك يا سنيور؟

بنيديك: طاب يومك يا مولاي.

دون بدرو: مرحبا يا سنيور. لو تقدمت لحظة لكدت تشترك فى مبارزة.

كلوديو: لقد كدنا نفقد أنفينا فى مجالدة مع شيخين ترمت أسنانهما.

دون بدرو: ليوناتو وأخوه. فما رأيك. أحسبنا أن فعلنا، أصغر من أن نقاتلها...

بنيديك: لا كرامة ولا منة فى معركة ظالمة، لقد جئت أبحت عنكما.

كلوديو: لقد بحثت عنك فى كل مكان لأننا مكتئبان فكا هتك؟

بنيديك: هى فى غمد سيفى. فهل أسحبه؟

- دون بدرو: أتضع عقلك فى جنبك؟ (١)
- كلوديو: ما فعلها أحد من قبل. وإن رأينا خلقا كثيرين قد اطرحوا عقولهم جانبًا. ولكنى قائل لك ما أقول لجماعة العازفين والمنشدين، اسحب لتطربنا (٢)
- دون بدرو: فى الحق إنه ليلوح شاحب الوجه أريض أنت أم مغضب؟
- كلوديو: ماذا بك. الشجاعة يا رجل! ولئن قتل الهم الهرة، فلا يزال لديك قدر من خفة الروح يكفى لقتل الهم (٣).
- بنيديك: إذا أنت وجهت فكاهتك إلى، فإنى ملاق الطعنة السريعة بمتلها أو أشد. أناشدك أن تختار موضوعا غير هذا.
- كلوديو: بل أعطوه رمحا آخر فقد انكسر بالعرض رمحه (٤).
- دون بدرو: وحق هذا النهار (٥) إن لونه يزداد امتقاعا. أحسبه فى سورة غضب شديد.
- كلوديو: إن كان كذلك. فهو يعرف كيف يقلب حزامه (٦).
- بنيديك: هل تسمح لى بهمسة فى أذنك؟
- كلوديو: حمانى الله من المشاجرة!
- بنيديك: (منتحيا بكلوديو ناحية). أنت وغد، أقولها جدًا لا هزلاً، وسأدلل على صحتها إن كنت تجترى. وبأى شيء تجترى. وحين تجترى، فاقبل هذا التحدى منى. وإلا

(١) يبدو من لحظة دخول بنيديك أنه جاء غاضباً يريد الاحتكاك بكلوديو وهو هنا يتحدث عن سفه ولكن الأمير اتخذ الأمر هزواً. فمضى يسأله متهمًا هل وضع عقله فى جنبه أى حيث يضع السيف.

(٢) أى اسحب آلة العزف من صندوقها أو كيسها لتعزف، وهذا رد ساخر من قول بنيديك أنه سيسحب السيف من قرابه.

(٣) فى أمثال الإنجليز. كم قتل الهم هرة. كناية عن مبلغ أذى الهم وأثر، فى النفوس، ولكن كلوديو هنا قلب المثل والمعنى أن خفة روحك كفيلة بقتل الهم.

(٤) إذا انكسر ربح مبارز من عرضه كان هذا عيباً ومذمة له ولكنه إذا انكسر نصله طولاً فلا بأس وكل هذه استعارات من المجالدة بالرمح والسيف يريد كلوديو منها أن بنيديك منهزم أمامه.

(٥) قسم مألوف فى تلك الأيام. وهو اقتصار من قسم آخر، ونعنى به وحق الضياء الذى خلقه الله.

(٦) قلب الحزم إنما يكون عند الاستعداد للشجار أو المبارزة حتى يصبح قلبه الأمامى عند ظهر لابس.

أعلنت جبنك. لقد قتلت سيدة كريمة. وسيقع وزر مماتها على رأسك. دعنى
أسمع منك متى نلتقى.

كلوديو: ليكن ما تريد. سألافيك حتى أستمتع بمتعة طيبة.

دون بدرو: ماذا؟ أدعوة مادية، مادية؟!؟

كلوديو: يمين الله، إنى له شاكر. فقد دعانى إلى رأس عجل ودجاجة. فإن لم أبرع فى
تقطيعهما البراعة كلها فقل إن سكينى مثلم ولا يقدر. ألن أجد على المائدة أيضاً
دجاجة من دجاج الراج (١).

بنيديك: إن النكتة يا سيدى مسعفتك.

دون بدرو: إنى لمنبئك بما مدحت بياتريس به مجانتك منذ أيام. قلت لها إنك ذو فكاهاة،
قالت حقاً ولكنها قليلة محدودة. بل عظيمة قالت حقاً عظيمة خسنة. قلت
كلا. بل حسنة رقيقة. قالت تماماً. فلا تؤذى أحداً قلت كلا إن السيد عاقل
حكيم، قالت هذا صحيح إنه مدعى الحكمة ادعاء. قلت إنه ينطق بعدة ألسن (٢)
قالت هذا ما أعتقه. فقد حلف على شيء ليلة الاثنين وحنث فى حلفه صباح
الثلاثاء. هذا لسان مزدوج. أو قل لسانان. وهكذا لبثت ساعة تشوه مزايك،
وانتهت آخر المطاف بقولها وهى ترسل زفرة إنك أملح رجل فى إيطاليا كلها.

كلوديو: وعندئذ بكت من كل قلبها وقالت إنها لا تحفل بك.

دون بدرو: أجل. هذا ما قالت. ولكنها قالت مع ذلك إنها إذا لم تمقته إلى حد الموت. فهى
تحبه إلى حد الإعزاز. لقد نبأتنا ابنة الشيخ بكل شيء.

كلوديو: بكل شيء، ولا تنس كذلك أن الله رآه حين كان مختبئاً فى الحديقة (٣).

دون بدرو: ولكن متى ستنتب قرون العجل الوحشى، فى رأس بنيديك العاقل (١).

(١) مهد الأمير بسؤاله "أدعوه إلى مادية" لنكتة لاذعة من كلوديو وهى أن خصمه دعاه إلى رأس عجل
ودجاجة. ثم مضى مع زيارته به يتابع الاستعارة بالسكين المثلم إذا لم يحسن القطع وخرج من ذلك إلى نكتة
أخرى وهى سؤاله خصمه هل سيجد أيضاً على المائدة طائراً آخر.

(٢) إشارة إلى معرفته عدة لغات. ولهذا جعلنا اللسان هنا على ألسن لا على السنة.

(٣) مأخوذ من التوراة فى سفر التكوين، الإصحاح الثالث العدد العاشر وهو قول آدم لربه "سمعت صوتك فى
الجنة فخشيت لأنى عريان فاخترت".

كلوديو: أى نعم. وضع هذه الكلمات تحت الصورة "هنا يسكن بنيديك البعل".
بنيديك: إلى اللقاء يا فتى. أنت عارف ما أقصد. وإنى لتاركك الآن لثرتك وكاهتك السمجة. إنك لتكسر النكت كما يكسر الأدياء الثرثارون سيوفهم. وهى بحمد الله لا تؤذى ولا تجرح. وأنت يا مولاي. إنى لشاكر لك صنائعك الكثر، ومنناك الغر، فإنى مضطر إلى التخلي عن رفقتك. إن أخاك النعل قد فر من مسينا. وقد اشتركتما فى قتل سيدة بريئة كريمة. وأما هذا المولى الأمرد فسألتنى به... وإلى أن نلتقى... سلام عليكم!

(يخرج)

دون بدرو: إنه يجد.
كلوديو: أشد الجد. أوكد لك أن هذا مرده إلى حب بياتريس.
دون بدرو: ولقد دعاك إلى المباراة.
كلوديو: أصدق ما تكون الدعوة.
دون بدرو: ما أحق الرجل الذى يستر بجسده صداره وجوربه، ويتجرد من عقله (٢).
كلوديو: وهو فى هذه الحال إذا قيس بالقرد، عملاق، ولكن القرد إذا قيس به، حكيم (٣).
دون بدرو: ولكن لنكف عن هذا ودعنى أستجمع فؤادى لنأخذ فى الجد (٤) ألم يقل إن أخى قد فر؟

(يدخل دوجيرى وفارجس والحراس ومعهم كونراد وبوراشيو)

(١) أى متى سنزوجه. وهو قول أراد به تكبير بنيديك بما قاله عن كراهيته للزواج من قبل.
(٢) أى أنه مجنون فيما يفعل، وفى الأصل، الرجل الذى يمشى فى صدار وجورب ويدع العقل عاريا أو يخلع العقل عنه.
(٣) هذه العبارة وسابقتها محيرتان وقد شرحها أحد المفسرين اجتهاداً بقوله ما أعجب حال الرجل الذى يركب حصانه وهو مرتد صدار، منتعل حذاءه الطويل. تاركا عقله مع رثائه المخلوع إنه ليروح فى هذه الحال بطلا فى عين الأحق أو الأبله لأن القرد هنا هو المأفون أو العابث المهذار، ولكن هذا فى الحقيقة وسيلة صالحة أو دواء مفيد يجعله يضحك من نفسه ويتبين حماقته.
(٤) يقصد لنطرح جانبا جميع المسائل الصغيرة ولننتبه إلى مواجهة مسائل خطيرة.

دوجيرى : تعال هنا يا سيد. وإذا لم تقلم العدالة أظافرك. فلن ترجح كفتها يوماً فى الميزان (١). وإذا كنت يوماً منافقاً شتاماً لعينا، فلا بد من النظر فى أمرك.

دون بدرو: ماذا أرى. رجلان من أتباع أخى موتقان. وهذا بوراشيو أحدهما؟

كلوديو: اصغ إلى أقوالهما وألق بالك إلى سماع تهمتها يا مولاي.

دون بدرو: أيها الضباط. ما الذى ارتكبه هذان الرجلان؟

دوجيرى : قسما يا سيدى. لقد شهدا زوراً فضلاً عن قول الكذب، وثانويًا (٢) إنهما مفتريان. و"سادسا" وأخيراً إنهما قالوا إكفاً فى حق سيدة. وثالثاً إنهما قررا أموراً فرية، وفى الختام إنهما من الكذابين الأوغاد اللئام.

دون بدرو: ألا . أسألك ماذا فعلاً؟ و"ثالثاً" ما ذنبهما؟ . و"سادساً" وأخيراً لماذا قبضت عليهما؟ وفى الختام بأى شىء تهمتها؟

كلوديو: أحسنت السؤال. وأجدت التفصيل على الطريقة ذاتها، والحق أنك أتيت بالمعنى الواحد فى عدة صور.

دون بدرو: إلى من أسأتما أيها السيدان حتى ربطوكما بأقوالكما (٣) على هذا النحو؟ إن هذا الشرطى العالم لأعلم من أن يفهم. نبئانى ما تهمتكما.

بوراشيو: أيها الأمير الكريم. لا تدعنى أمعن فى القول واستمع لى وأذن للكونت فى قتلى. لقد أضللت عينيك ذاتهما، ولكن ما عجزت حكمتك عن كشفه، قد فضحه هؤلاء المعاتيه السذج، فقد استرقوا علينا السمع ليلا، وأنا أعترف لصاحبي هذا بأن أخاكم دون جون حرضنى على الوشاية بالسيدة هيررو. وكيف سيق بك إلى الحديقة فرأيتنى أتغزل فى مرجريت وهى فى زى هيررو. ومضيت تشهر بها بينما كان عليك أن تراها زوجاً. وقد دون هؤلاء الأشراف تفاصيل جنائتي. وإنى لأوثر أن أختمها بموتى، على ما ينالنى من العار بترديدها. لقد ماتت السيدة نتيجة فعلتي، وفرية سيدى، ولست أبغى غير جزاء الوغد الأثيم لى عقابا.

(١) فى الأصل "إذا لم تروضك العدالة" فلن تحمل فى ميزنها بعد اليوم زيئاً وقد نطقها هذا الجاهل قائلاً "أسباباً" لأنهما فى الإنجليزية رزنس والزيب رزنس وفى ترجمتهما هكذا مناسبة.

(٢) هكذا نطق بها وهو يقصد طبعاً أن يقول "ثالثاً".

(٣) تعبير جميل عن تقيدهما.

- دون بدرو: ألا يجرى هذا القول كنصل السيف فى دمك؟
كلوديو: لقد كان سما شربته وهو يفوه به.
- دون بدرو: ولكن هل أذى هو الذى حرصك على هذا الجرم؟
بوراشيو: نعم. وأجزل لى العطاء على تنفيذه.
- دون بدرو: لقد طبع على الغدر وركبت الخسة فيه. وها هو ذا قدر فر عقب أن اقتترف جريمته.
- كلوديو: أواه. يا هيررو المحببة. إن صورتك لتبدو الساعة فى تلك المعالم النادرة التى أحببتها أول مرة.
- دوجيرى: هلموا عودوا بالمجرمين. ولا بد أن يكون كاتبنا قد أبلغ^(١) السنيور ليوناتو الآن بجلية الأمر وأنتما يا سيدان، لا تنسيا فى الوقت والمكان المناسبين أن تقررا أنى... حمار...
- فارجس: ها هو ذا السيد السنيور ليوناتو قادم، والكاتب أيضاً...
(يدخل ليوناتو وأنطونيو ومعهما الكاتب)
- ليوناتو: أيها الشقى الأثيم... دعونى أرى عينيه. لكى أتحاشى من يشبهه، إذا التقيت به. أى هذين الرجلين هو؟..
- بوراشيو: إن أردت أن تعرف الذى بغى عليك فانظر إلى.
- ليوناتو: أنت العبد الذى قتلت "بوشايتك"^(٢) ابنتى البريئة الطاهرة؟
بوراشيو: نعم أنا وحدى.
- ليوناتو: كلا. ليس الأمر كذلك أيها الشقى. إنك لظالم لنفسك فهما هذان سيدان شريفان، ومعهما ثالث لاذ بأذيال الفرار. إننى أيها الأميران لشاكر لكما مصرع ابنتى، فلندوناها فى سجل مآثركما المجيدة السامية. لقد فعلماها بشجاعة إذا كنتما تذكرانه.

(١) انظر إلى قوله "كاتباً" فهى على هذا التفسير مضحكة وقد نطق بكلمة "أبلغ" informed محرفة فقال أى أصلح.

(٢) فى الأصل بأنفاسك والمعنى بأفوك ووشايتك.

كلوديو: لست أدري كيف أطلب إليك صبرًا. ولكن لا مفر لي من الكلام. فلتختر بنفسك وسيلة تارك، وافرض على ما يبتكره خيالك من عقاب^(١)، جزاء الذنب الذى اقترفته. إن كنت لم أقرفته إلا عن خطأ.

دون بدرو: ونفسى التى بين جنبي. إننى أيضًا قد اقترفته عن خطأ. ولكنى مرضاة لهذا الشيخ الكريم. متقبل أى عقاب هو فارضه.

ليوناتو: ليس فى إمانى أن أطلب إليكما أن تردّا ابنتى إلى الحياة لأن هذا مستحيل. ولكنى أناشدكما أن تعلمنا على الملاء فى مسينا أنها ماتت طاهرة الذيل. وإن هداكما وحى الشاعرية إلى مرثية، فعلقاها على قبرها، وغنياها لعظامها. أنشداها الليلة. فإذا كان صبح الغد فتعاليا إلى دارى. ومادمت لا تستطيع أن تكون لابنتى زوجًا، فلتكن زوجًا لابنة أختى، فإن لأختى ابنة. تكاد تكون صورة أخرى لفقيديتى. وهى ورثيتنا الوحيدة أنا وأختى^(٢). فاخلع عليها من الحقوق، ما كنت موشكا أن تخلعه على ابنة عمها. وكذلك تزول ترتى^(٣) وتشفى موجديتى،

كلوديو: أيها السيد الكريم: إن حنانك البالغ لينتزع من عينى الدمع انتزاعا، وإنى لمتقبل ما عرضت، فافعل بعد الآن بكلوديو المسكين ما أنت فاعله.

ليوناتو: وإذن فإننى مرتقب غدا مقدمكما. وأما الليلة فأستأذنكما، وسنواجه هذا الرجل الخبيث بمرجريت التى أعتقد أنها ورطت فى هذا الإثم الذى استأجرها أخوك له.

بوراشيو: كلا. ونفسى التى بين جنبي إنها لم تشترك فيه، ولم تورط ولم تكن تعرف شيئًا حين كلمتى وعهدى بها أبداً الوفية الفاضلة.

دوجيرى : وفضلا عن هذا يا سيدى، إن هناك شيئًا آخر لم يسجل فى كتاب، وهو أن هذا الجانى^(٤) المائل أمامكما سمانى حمارًا، ورجائى أن تذكروا ذلك عند تقرير عقوبته. وقد سمعهما الحرس أيضًا يتحدثان عن شخص يدعى "المشوه"،

(١) فى الأصل ما تبتكر، أو نحو ذلك.

(٢) لعل هذا سهو من شكسبير فقد نسى أن لأنطونيو ولدًا كما أورد فى المشهد الثانى من الفصل الأول على لسان ليوناتو حين سأل أخاه "وأي ابن أختى ولدك". أو لعل هذا الولد مات بعد ابتداء القصة فأصبحت ابنة أخيه هى الوريثة دون سواها. أو لعله مجرد إغراء وإن لم يكن صحيحًا.

(٣) تر، على وزن سنة من الأسن هى السبب الموجب للثأر أو الموجدة.

(٤) سماه فى الأصل "الشاكى" كما وصفه هو وزيله كذلك فى موضع سابق.

ويقولان إنه يلبس "مفتاحا" فى أذنه ويعلق قفلا به (١)، ويستقرض الناس باسم الله ويكرر القروض ولا يردها، حتى قست قلوب الناس فلم يعودوا يقرضون الله شيئاً. أناشذكما أن تبحتا فى هذه النقطة.

ليوناتو: أشكر لك عنايتك وهمتك.

دوجيرى: إن سيادتك تتكلم كأحسن الشباب، شكرًا وتقديرًا وأنا أحمد الله إليك.

ليوناتو: خذ جزاء عنائك.

دوجيرى: ليبارك الله لصاحب هذا البيت (٢).

ليوناتو: اذهب وأنا معفيك من سجينك وشاكر لك.

دوجيرى: إننى تارك لديك شقيا ضالا. وأرجو أن تقتص لنفسك منه ليكون عبرة لغيره.

ليحفظك الله. وأتمنى لك الخير. ورد الله إليك العافية. وبكل خشوع أستأذنك فى الانصراف (٣). وأدعو الله أن أراك فى أحسن الأوقات. هلم بنا أيها الجار.

(يخرج دوجيرى وفارجس)

ليوناتو: وداعًا أيها الموليان إلى صباح غد.

أنطونيو: وداعًا أيها السادة، إننا فى انتظاركما غدا.

دون بدرو: لن نتخلف.

كلوديو: سأقضى الليلة فى التفجع والأسى على هيرو،

ليوناتو: (إلى الحرس) سيروا بهذين الرجيين حتى نتحدث إلى مرجريت، لنعلم كيف عرفت هذا الوغد الأثيم.

(ينصرفون)

(١) وردت هذه الحكاية فى الفصول السابقة حين ظن الحارس أن كلمة "المشوه" هى اسم شخص معين. ورتب على هذا الظن معرفته للص يسمى بهذا الاسم ذاته.

(٢) نطق هنا بكلمة foundation أى الأساس ولكن المعنى هو ما أوردناه أى المؤسس أو رب البيت، وقد كان من عادة المتسول إذا أعطى صدقة وهو عند باب الكنيسة أن يدعو لمنشئها بالخير.

(٣) كل هذه العبارات جاءت منه محرفة وكلها أغلاط فى مبناها، حتى فى كلمة استأذنك. قالها أعطيك الأذن فى الانصراف. وقوله أدعو الله تبدو أقرب إلى قوله "العياذ بالله" أو أرجو الله أن يمنع ذلك.

المنظر الثاني

حديقة دار ليوناتو

يدخل بنيديك ومرجريت فيلتقيان (١)

بنيديك: أرجوك يا عزيزتي مرجريت أن تسديني صنيعاً ولك عليه أحسن الجزاء. أعينيني على التحدث إلى بياتريس.

مرجريت: هل سكتت لي أغنية تتغزل فيها بجمالي إن أنا فعلت؟..

بنيديك: فى أبداع أسلوب لا يأتي إنسان بشيء فوقه يا مرجريت، لأنك والحق يقال، تستحقين هذا المديح.

مرجريت: أقول إن إنساناً لن يأتي بشيء فوقى.. يعنى أننى سأظل دائماً تحت السلم (٢).

بنيديك: إن النكتة لديك سريعة كغم كلب الصيد حين يلتقط.. (٣)

مرجريت: ونكتتك مثلمة "كسيف" اللاعب. تصيب ولكن لا تجرح.

بنيديك: نعم النكتة وما أخلقها أن تصدر من رجل يا مرجريت، إنها لن تجرح امرأة، ولهذا أناشدك أن تتأدى بياتريس. إننى أسلم لك دروعى.

مرجريت: هات لنا السيوف، فلدينا دروعنا (٤).

بنيديك: إذا استخدمتها يا مرجريت فاربطى الرماح بالمنجلة لأنها أسلحة خطيرة على الفتيات (١).

(١) هذا المنظر لم يكن ضرورياً ولكن شكسبير جاء به للانتفاع بالفترة التي ستسبق زيارة دون بدر وكلوديو (قبر) هيررو تلبية لدعوة أبيها. وفي هذا المشهد يلتقى بنيديك بمرجريت فيطلب إليها أن تدعو بياتريس. وعندئذ يبدأ بين هذين العاشقين حوار بديع ندرك منه مدى تطور العلاقة بينهما.

(٢) أخذتها الجارية على معنى آخر، فقالت هل سأبقى خادماً "أى تحت السلم" فلا أتزوج فى يوم من الأيام.

(٣) أن تلتقطين النكتة بالسرعة ذاتها التي يلتقط بها كلب الصيد الأرنب وهو يطارده.

(٤) أى أنها أحسن ما تكون النكتة من رجل لأنها تجرح امرأة وقوله لها "إننى أسلم روعى" استعارة يريد بها أن يقول إنه منهزم أمام مكنتها وكان ردها أن لدينا دروعاً ولكن ليست لدينا السيوف فهى التي تتقصدنا معاشر النساء.

مرجريت:

سأدعو لك بياتريس. إن لها ساقين تسير عليهما.

بنيديك:

ومن أجل هذا ستجيء (يغنى) يا إله الحب، يا من تجلس في عل، أنت العلم
بأنى للشفقة مستحق... (٢) أعنى فى الغناء. أما فى الحب فإن لياندر (٣)
السباح الماهر، وترويلاس (٤) أول من استعان فى الهوى بالرسل والوسطاء،
وسائر معاشر الفرسان الجلوس على الأيسطة (٥)، وتجار الكلام الذى تملأ
أسماءهم كتاباً كاملاً. وتجرى سهلة هينة فى طريق الشعر المرسل.. فلم يغلبهم
الحب على أمرهم، قدر ما غلبنى . ولم يستحوذ عليهم مثل ما استحوذ على
خاطري. يميناً إننى لعاجز عن وصف حبي شعراً. ولطالما حاولت فلم أجد فى
القوافى كلمة، على وزن "سيدة" غير "وليدة"، ولا وقعت من الأوزان الصادقة غير
المتكلفة للفظة "سخرية" إلا على "قرون ملتوية"، ولا لكلمة "مدرسة" غير "ذى
لوثة"، إن الشعر لمعون الخواتيم، كلا لا أحسبني ولدت فى طالعى أنى سأكون
ناظماً للقوافى، ولا أنا على الغزل بالكلام المنمق قدير (٦).

(تدخل بياتريس)

بنيديك:

يا عزيزتى بياتريس. أرضيت المجيء حين دعوتك؟

بياتريس:

نعم يا سنيور، وسأنصرف حين تأمرنى.

(١) أى بمسار محدى لكيلا يحدث أذى.

(٢) هذا مطلع أغنية قديمة لا شك فى أنها كانت معروفة تغنى على المسارح فى عهد المؤلف وقد وضعها
ويليام الدرثون ولم يبق منها اليوم غير قطعة تسمى "شكوى آثم".

(٣) لياندر عاشق هيررو كاهنة فينوس ربة الجمال وكان من عادته أن يسبح ليلاً لزيارتها ثم يعود قبل مطالع
النهار. ولكنه فى ذات ليلة والريح عاصفة هلك فى سبيل تنفيذ عهده وهو زيارتها كل ليلة. وقد ألقى اليم
بجثته على الساحل فلم يكن من حبيبته هيررو إلا أن وثبت إلى اليم فكانت من المغرقين.

(٤) أحد أبناء الملك برنام عاهل طروادة وقد أحب كريسيدا ابنة الكاهن كانثاس وهى ألمانية أسرها الطرواديون.
وقد استعان على التعرف بها بعمه بانداراس ومن هناك الوسيط بين الرجل والمرأة.

(٥) غمز: فى الفرسان الذين يجلسون فى الأبهاء وقاعات الجلوس المفروشة بالبسط يتحدثون عن فعالهم التى
خاضوها. وإن كان مكانهم المعارك وميادين القتال.

(٦) يصف شكسبير هنا الغناء الذى يجده فى الاهتمام على كلمات تصلح للقوافى والرد وهو فى هذا يأتي بكلام
لطيف ليخرج منه إلى القول بأنه لم يولد شاعراً.

- بنيديك:** أواه، فلتمكثى إلى هذا الحين ^(١).
- بياتريس:** لقد قلتها، فوداعاً الآن، ولكن قبل أن أذهب دعنى أنصرف بالذى جئت له، وهو أن أعرف ما الذى جرى بينك وبين كلوديو.
- بنيديك:** الكلمات الكريهة كالريح الكريهة، والريح الكريهة إن هى إلا الأنفاس الكريهة، وهذه خبيثة مستكرهة. ولهذا سأنصرف من غير أن أقبل.
- بنيديك:** لقد أخفت الكلمة ذاتها فأخرجتها من عقلها ^(٢)، إن فكاهتك لقوية شديدة. ولكنى مصارحك الحقيقة: إن كلوديو مرتبط بالتحدى الذى وجهته إليه، فيما أن أتلقى قريباً جوابه، أو أعلن أنه نذل جبان، والآن أناشدك أن تتبئنى أى مساوئ حملتك أولاً على حبى؟
- بياتريس:** كلها مجتمعة، فقد احتفظت بحال من سوء جعلها لا تقبل أية حسنة تختلط بها. وأنت خبرنى أى محاسنى حملك أولاً على أن "تعانى" حبى؟
- بنيديك:** "أعانى" الحب!. كلام جميل. إننى أعانى الحب حقاً لأننى أحبك رغم إرادتى.
- بياتريس:** على كره من قلبك.. وا أسفاه لهذا القلب المسكين.. إذا كنت له كارها من أجلى. فإنى له كارهة من أجلك. لأننى لن أحب أبداً ما يكرهه صاحبى.
- بنيديك:** أنا وأنت من فرط العقل بحيث لا نقدر على غزل رقيق.
- بياتريس:** ولكن هذا العقل المفرط لا يبدو فى هذا الاعتراف، ولن تجد بين عشرين رجلاً، رجلاً واحداً يمدح نفسه كما فعلت.
- بنيديك:** تلك حكمة قديمة، جد قديمة يا بياتريس، وجدت حين كان الناس صالحين لا يحسد بعضهم بعضاً، إن المرء إذا لم يبين الآن قبره قبل مماته، فلن يحيا فى الذاكرات أطول أمداً مما يستغرقه دق النواقيس بمنعاته، وبكاء الأرملة لوفاته.
- بياتريس:** وكم يطول هذا فى ظنك؟
- بنيديك:** هذا هو السؤال، ساعة فى دق أجراس ورنين، وبعض ساعة فى بكاء وأنين، فمن الخير للعاقل أن يعلن عن فضائله كما أعلن أنا عنها، وذلك إذا لم يحل

(١) أى حتى أمرك.

(٢) أى من معناها الأصلي.

شئء بين الإنسان طعمة الديقان ^(١) وبين هذا الإعلان . وحسبى هذا فى مديح
نفسى الجديرة فى شهادتى لها بكل مديح وثناء. والآن نبئبنى كيف حال ابنة
عمك؟

بياتريس: جد علية.

بنيدىك: وكيف حالك أنت...

بياتريس: جد علية كذلك.

بنيدىك: اتقى الله وأجيببنى واسأليه لنفسك صلاحاً، والآن أتركك لأنى أرى إنساناً قادمًا
نحونا مسرعًا.

(تدخل أوسولا)

أوسولا: مولاتى . تعالى إلى عمك، إن فى البيت حركة قلما شاهدت مثلها. لقد ثبت أن
مولاتى هيرى قد اتهمت زورا وبهتاناً، وأن الأمير وكلوديو ضلالاً مبيئاً، وأن دون
جون أس هذا البلاء كله قد فر هاربا هلمى إليه فى الحال.

بياتريس: ألا تأتى لتسمع هذا النبأ يا سنيور .

بنيدىك: سأحيا فى قلبك، وأموت فى حجرك، وأدفن فى عينيك، وإلى جانب هذا كله
سأذهب معك إلى عمك.

(يخرجون)

(١) أحد المسميات الغربية التى أولع شكسبير بابتكارها، وقد مرت بك منها أمثلة، وهو هنا يسمى الإنسان "دن
ويرم" أى السيد دودة وقد رأينا أن نجعلها كما ترى "طعمة الديقان" كأحسن تسمية للإنسان.

المنظر الثالث

فى الكنيسة

يدخل دون بدرو وكلوديو وثلاثة أو أربعة يحملون شموعًا

كلوديو: أهذه هى مقبرة آل ليوناتو؟

أحدهم: نعم يا مولاي.

كلوديو: (يقرا فى رق مسطور) "ذهبت ضحية السنة السوء، هير التى ترقد فى هذا

المكان، فإن الموت إنصافًا لها من الظلم الذى حاق بها، قد وهبها مجدًا لن يموت. وكذلك راحت الحياة التى ماتت بعار تحيا فى الموت بمجد وفخار. قفوا على هذا القبر وترحموا عليها. واذكروا محاسنها. إذا انعقد لسانى فلم أجد كلاما. ويا أيتها الموسيقى اعزفى واصدحى سلاما وانشدى أغنيتك المقدسة لحنا وأنغامًا.."

أغنية

يا ربة الليل (١) صفحًا وغفرانا للذين قتلوا فارستك العذراء (٢)؛ وجاءوا من حول قبرها طائفين ليغنوا غناء المكروب الحزين ويا أيها الليل البهيم أعنا على الأئين. وحسرات المتحسرين. ويا قبور تشاءبي، والفظى موتاك إلى أن ينادى بالموت مهزومًا مدحورًا.

كلوديو: والآن طاب ليل أعظمك، وإنى لمعاهدك أن أقف كل عام وقفتى هذه بقبرك.

دون بدرو: طاب صباحكم أيها السادة، أطفئوا مشاعلكم. إن الذئاب قد فرغت من الفتك بفريساتها، وانظروا، إن الصبح حول مراكب فيبوس طائف (٣). يرقط المشرق الوسنان ببقع شهب. شكرًا لكم جميعًا. واتركونا.. وداعًا.

(١) هى ديانا ربة العفاف والصيد. وكانت تدعى أيضًا ربة القمر.

(٢) أى هيرو التى أصبحت بعد موتها بفضل عفافها "قارسة" فى خدمة ديانا.

(٣) إشارة إلى الإله فيبوس وهو يقود مركبة الشمس كل يوم من المشرق إلى المغرب، وقد سبقت هذه العبارة عبارة أخرى وهى أن النهار قد طلع والذئاب قد انتهت من الفتك بفريساتها لأنها لا تهاجم إلا ليلا.

كلوديو:

طاب نهاركم أيها السادة، وليأخذ كل منكم سبيله.

دون بدرو:

هلم بنا من هذا المكان. لنرتدى ثياباً غير هذه الثياب، ونذهب إلى دار ليوناتو.

كلوديو:

ويا إله القران. أسرع بنا الآن إلى حظ أسعد من الذي جئنا نؤدى له هذه التحية
محزونين.

(يخرجون)

المنظر الرابع

فى إحدى حجرات دار ليوناتو

يدخل ليوناتو وأنطونيو وبنيدىك وبياتريس
ومرجريت وأورسولا والقس فرانسيس وهيرو

القس: ألم أقل لك إنها بريئة؟..

ليوناتو: وكذلك الأمير وكلوديو اللذان اتهماها على أساس الفرية التى سمعنا نتحدث عنها. ولكن بعض الذنب واقع على مرجريت فى هذا الأمر وإن أتى على غير إرادتها. كما يبدو من مجرى التحقيق وتتابعه.

أنطونيو: إننى لمغتبط بأن الأمر انتهى بخير.

بنيدىك: وأنا كذلك. وإن كنت برًا بعهد عاهدته قد دعوت الفتى كلوديو إلى الحساب على فعلته.

ليوناتو: والآن. يا ابنتى، ويا أيتها السيدات كلكن، اذهبن فانفردن بأنفسكن فى حجرة أخرى. وحين أدعوكن، تعالين مخفيات وجوهكن.

(تخرج النساء) لقد وعدنى الأمير وكلوديو أن يزورانى فى هذا الموعد وأنت يا أختى تعرف الدور الذى ستضطلع به. وهو أن تكون أبا لابنة أختك. وتسلمها لفتى كلوديو.

أنطونيو: وإنى لفاعل ذلك قوى العزيمة مطمئنا.

بنيدىك: أيها القس. أرانى مضطرًا إلى طلب معونتك.

القس: وماذا تريد أن أفعل يا سيدى؟

بنيدىك: أحد أمرين، إما أن تربطنى أو تفكنى (١) الحق يا سيد ليوناتو الكريم إن ابنة أختك تنتظر إلى بعين الرضى.

ليوناتو: إن هذه العين هى التى أعارتها إياها ابنتى. هذا هو الحق المبين.

(١) أى تزوجنى بياترى أو لا تزوجنى.

- بنيديك:** وأنا بعين الحب أؤدى حقها على.
- ليوناتو:** أحسبني أنا الذى أخذت بصر هذه العين منه، كما أخذته من كلوديو والأمير^(١) ولكن ما مشيئتك؟
- بنيديك:** إن جوابك يا سيدى كاللغز مستغلق أما عن مشيئتك فهى مشيئتك، وهى أن توافق على ارتباطنا اليوم برباط قران شريف لا عائب عليه ولا دام، وأرجو منك أيها القس التقى المعونة عليه.
- ليوناتو:** إن قلبى معك.
- القس:** ومعونتى لك. هاهو ذا الأمير وكلوديو قادمان.
- (يدخل دون بدرو وكلوديو واثنان أو ثلاثة آخرون)
- دون بدرو:** صباحًا مباركاً لهذا الجمع الكريم.
- ليوناتو:** صباحًا أيها الأمير وعم صباحًا يا كلوديو. إننا هنا فى انتظاركما.. ألا تزال معتزماً الاقتران اليوم بابنة أختى؟
- كلوديو:** سأبر بعهدى، ولو كانت حبشية.
- ليوناتو:** ادعها يا أختى. وها هو ذا القس على استعداد.
- (يخرج أنطونيو)
- دون بدرو:** عم صباحًا يا بنيديك. ما خطبك ومالى أرى وجهك كأنه فى شهر فبراير، يلوح باردا قاتماً مليئاً بالجليد والعواصف والسحب النقال؟
- كلوديو:** أحسبه يفكر فى الفحل الهائج ولكن اطمئن يا رجل ولا تخف، فسنعطى طرفى قرنيك بالذهب. ونجعل "يوروبا" بأسرها تلهو بك، كما لهت يوروبا من قبلك بجوبيتر الشديد البأس، حين تمثل الوحش الكريم فى الحب^(٢).

(١) أى الفضل لنا نحن الثلاثة فى هذا الامر إشارة إلى ما فعلوه بالحيلة فى سبيل تحبيب بياتريس وتحبيبه إليها كما مر بك.

(٢) إشارة إلى أن الخصومة التى بينه وبين كلوديو لا تزال قائمة ولهذا بدأ بنيديك متجهماً فى وجه كلوديو.

بنيديك: ولكن الفحل جوبيتر يا سيدى كان له خوار رقيق، وأما أنت فإن فحلاً غريباً وثب على بقرة أبيك، فأولدها بهذه الفعلة الكريهة عجلاً أشبه شيء بك لأن لك عين ثغائه.

كلوديو: هذه واحدة سأحاسبك عليها. وها هي ذى أمور تتطلب التسوية.

(يعود أنطونيو والسيدات وهن مقتعات)

أنطونيو: ها هي ذى. وأنا واهبك إياها.

كلوديو: إنها إذن لى.. دعيني أنظر محياك أيتها الحسنة.

ليوناتو: كلا. لن تفعل حتى تتناول يدها أمام هذا القس فقسم إنك لمقترن بها.

كلوديو: هاتى يدك. وأمام هذا القس الموقر، أنادى أننى زوجك إن رضيت بى زوجاً.

هيرو: (تحسر القناع عن وجهها)، يوم كنت بين الأحياء، كنت زوجك الأخرى، وحين أحببت، كنت زوجى الآخر.

كلوديو: أهيرو أخرى...؟

هيرو: لا شيء أكثر توكيدا، واحدة قضت بالإفك مدنسة، أما أنا فأعيش، ولا ريب فى أنى عذراء كما لا ريب فى أنى من الأحياء.

دون بدرو: هيرو الأولى! هيرو التى ماتت ١.

ليوناتو: لم تمت يا مولاي إلا حين كانت الفرية حية.

القس: سأزيل هذه الحيرة كلها، حين انتهى من مراسم القران المقدسة، وسأشرح باستفاضة سر موت هيرو الحسنة. فدعوا العجب فى هذه الساعة، واحسبوه من الأمور المألوفة وهلموا بنا من فورنا إلى الكنيسة.

بنيديك: مهلاً أيها القس. مهلاً. أيهن بياتريس؟..

بياتريس: (حاسرة) هذا هو اسمى. فماذا تريد؟

بنيديك: ألا تحبيننى؟

بياتريس: كلا. ليس أكثر مما أحب العقل والحجى.

بنيديك: عجباً. لقد كان عمك والأمير وكلوديو مخدوعين حين أقسموا أنك تحبيننى.

بياتريس: ألسنت تحبنى؟

- بنيديك:** فى الحق. كلا ليس أكثر مما أحب العقل والحجى.
- بياتريس:** عجا. لقد كانت ابنة عمى ومرجريت وأورسولا مخدوعات كثيرًا، لأنهن أقسمن أنك تحبنى.
- بنيديك:** لقد أقسمن بأنك فى حبى مدلهة أو تكادين.
- بياتريس:** وقد حلفن أنك تكاد من حبى تفارق الحياة.
- بنيديك:** لا شيء من هذا القبيل. إذن أنت لا تحبينى..
- بياتريس:** فى الحق لا، ولكن حب الصديق للصديق.
- ليوناتو:** دعى عنك هذا يا ابنة أختى. إنى لعلى يقين بأنك تحبين السيد الكريم.
- كلوديو:** وأنا أقسم أنه يحبها، وها هى ذى ورقة بخط يده، تحوى أغنية متكلفة فاضت بها قريحته، موجهة إلى بياتريس.
- هيرو:** وها هو ذا كتاب آخر بخط ابنة عمى سرق من جيبها، تصف فيه حبها لبنيديك.
- بنيديك:** يا للمعجزة!.. هاتان يدانا تشهدان على قلبينا.. اقبلي. فأنى آخذك. ولكن بحق هذا النهار إنى آخذك إشفاقا عليك.
- بياتريس:** لست أرفض سؤلك. ولكن وحق هذا النهار المضىء، إنى ما رضيت بك إلا بعد حض كثير. ولكى أنقذ حياتك، فد نبئت أن الحب أضناك.
- بنيديك:** حسبك.. سأغلق فمك (يقبلها).
- دون بدرو:** ماذا صنعت بنفسك يا بنيديك الزوج..؟
- بنيديك:** سأشرح لك أمرى أيها الأمير. قل لو اجتمع على حشد من محترفى الفكاهة ليسخروا منى، ويستفزونى مما أريد لما استطاعوا أن ينالوا من مأربهم شيئًا. هل تحسبنى أحفل بهجو شاعر، أو سخرية ساخر؟ كلا، إذا المرء استخذى لقول القائلين وفكاهة الفكهين، فلن يجد حوله شيئًا جميلًا. وجملة القول إننى مادمت قد أردت الزواج فلن آبه بما يقول الناس فيه. ولهذا لا تعبت بى ولا تذكرنى بما قلت عنه كارها له، فقد خلق الإنسان حولًا قلبًا، وهذا هو كل ما عندى قلته. وأما أنت يا كلوديو. فقد كنت معتزمًا أن أقتلك، ولكن ما دمت ستصبح لى نسيبًا، فعش سالمًا وكن بابنة العم مغرمًا.

كلوديو: لقد كنت أرجو أن تأبى على بياتريس، لكى أنتزع منك حياة الأعزب انتزاعاً، وأجعلك مرائياً ذا وجهين. وأنك بلا ريب لتصبح كذلك إذا لم تشدد ابنة العم الرقابة عليك.

بنيديك: حسبك. حسبك. إننا اليوم صديقان، فلنستمع برقصة قبل القران. لنخفف عن قلوبنا وأعقاب زوجاتنا.

ليوناتو: سيأتى الرقص بعد.

بنيديك: يميناً ليكونن أولاً. أيها الموسيقيون اعزفوا. وأنت أيها الأمير أراك ساهما. فاتخذ لك زوجاً. أتخذلك زوجاً. فما رأينا فى العصى أجمل ولا أروع من عصا فى آخرها قرن.

(يدخل رسول)

الرسول: مولاي الأمير، لقد قبض على أخيك أثناء فراره وجئ به إلى مسينا مخفوراً.

بنيديك: لا تفكر فيه إلا غداً. وسأبتكر عقاباً له يليق به، اعزفوا أيها العازفون.

(يبدأ الرقص وفى ختامه ينصرفون)

فهرس

٢٥ الفصل الأول

٤٢ الفصل الثاني

٦٩ الفصل الثالث

٩٤ الفصل الرابع

١٠٩ الفصل الخامس

١٩٩٣ / ٨٥٠٠

رقم الإيداع

ISBN 977 – 02 – 4233 – 0

التزقيم الدولي

١/٩١/٤٢٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)